جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ

بحث بعنوان

مصر في عهد جمال عبد الناصر ١٩٥٦ _ ١٩٧٠

بحث مقدم إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة بابل وهو جزء من متطلبات الحصول على شهادة البكالوريوس في التاريخ

أعداد الطالب

حسن عقيل محمد

أشراف

د. صلاح خلف مشاي

١٤٤٥هـ ٢٠٢٤ م

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

صدق الله العلي العظيم

{سورة التوبة اية ١٠٩}

الاهداء

الحمدالله ع لذة الإنجاز والحمد لله عند البدء وعند الختام

الى والدي الذي أضاء دروبي وطريقي وقدوتي في كل خطوه اخطوها

.الى امي الحنونه الحضن الدافئ وسمائي التي لم تتركني يوماً ولا يكتمل يومي بدونها

الي أخواني وأخواتي الذين وقفوا معي دائما وسنادوني خلال مسيرتي التعليميه

الى جميع اساتذتي الاعزاء الذين علموني وأرشدوني ووجهوني

اهديكم جميعاً هذا العمل المتواضع وثمرة جهدي والله ولي التوفيق.

الشكر والتقدير

لا يسعني بعد أن أتم الله بنعمته علي في انجاز هذا البحث، إلا أن أتقدم بالشكر والتقدير والامتنان والعرفان بالجميل إلى رمز العلم والعمل والالتزام الدكتور صلاح خلف مشاي على تفضله بالموافقة على الإشراف على هذا البحث، ولما منحه لي من وقت وجهد وحسن متابعته الدائمة وبتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كان لها الأثر البارز في إعداد هذه البحث، وما لمسته منه من رحابة صدر وسمو تواضعه فجزاه الله عني خير الجزاء انه سميع مجيب الدعاء.

وقبل أن أمضي من مقام الشكر أقول هل يستطيع أحد أن يشكر الشمس لأنها أضاءت الدنيا، لكني سأحاول رد جزء من جميلكم فأتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة، إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة ...

إلى جميع أساتذتي الأفاضل في جامعه بابل كليه التربية الإنسانية قسم التاريخ

وختاماً اشكر كل من وقف الى جنبي وساعدني وشجعني ولو بكلمة طيبة.

المقدمة

ليس بوسع أحد أن ينكر حقيقة أن جمال عبد الناصر يشغل مكانة رفيعة في تاريخ العرب المعاصر، وبين رواد حركة عدم الانحياز وقادة أفريقيا الحديثة ، والعالم الثالث عموماً في النصف الثاني من القرن العشرين كما يُعد ، بحق ، أحد أبرز قادة التيار القومي العروبي الوحدوي التحرري بحكم ، واقعه ، وأحد أقوى المنادين بالاشتراكية بين هؤلاء القادة والأكثر شعبية بينهم طوال حياته.

كان عبد الناصر صاحب مشروع نهضوي عربي كبير أراد منه تحقيق مردود ضخم للحركة القومية العربية وتيارها اليساري المعتدل كما كان اسمه، ولا يزال يقترن بالتحديث، والعلمانية التي تحترم الأديان كافة دون تسييس للدين، ودون انحياز مطلق للإسلام على حساب الأديان الأخرى. ويعد أيضاً رمزاً كبيراً للاستقلالية، ورفض الهيمنة الامبريالية ويقترن اسمه في مصر والعالم أجمع بالناصرية كحركة وتيار فكري– سياسي، وعقيدة قومية أدت دوراً تاريخياً كبيراً مرده ما أحدث من تغيير نوعي في حياة مصر، والحياة العربية.

إن قائداً بهذه المكانة الوطنية والعربية والعالمية استحق ويستحق العديد من الدراسات التاريخية الجادة لباحثين مصريين وعرب وعالميين. وبالفعل، أُلف الكثير من، الكتب والبحوث الرصينة، بحقه كما تعرضت له العديد من مذكرات رجال الدولة والقادة والسياسيين المعاصرين في مصر والوطن العربي والعالم ولقد ركز جلهم على دراسة سيرة جمال عبد الناصر قائداً وسياسياً، وتعرضوا له إنساناً ومواطناً مصرياً وعربياً، دون أن يتعرضوا لفكره إلا نادراً وبصورة مجتزأة، ومبتسرة في الغالب. دفعنا ذلك إلى اختيار طريق صعب، برغبة صادقة ترنو إلى فهم فكر جمال عبد الناصر نشأة وتطوراً في خضم مسيرة أحداث مصيرية متلاحقة على صعيد مصر والوطن العربي، فرضها صراع مرير بين جبهتين متضادتين ضمت الأولى كل المؤمنين بالحق العربي المهضوم بمفهومه الأوسع، وضمت الثانية أولئك الذين وقفوا بوجه الطموحات المشروعة للقوى الوطنية العربية الحقة.

□

المبحث الأول

المطلب الاول

حياته ودراسته

حياة جمال عبد الناصر:

لم يستأثر قائد عربي في تاريخ الأمة العربية الحديث بالاهتمام مثلما استأثر به جمال عبد الناصر. فمنذ عهد صلاح الدين الأيوبي، رمز البطولة العربية – الإسلامية في الحروب الصليبية، لم تنجب الأمة قائداً واجه التحديات الأجنبية والامبريالية والصهيونية والرجعية بشجاعة استثنائية مثلما واجهها جمال عبد الناصر، ابن الصعيد المصري والمرحلة المعاصرة من الثورة العربية. فهو يستحق، وبمنتهى الجدارة، أن نسميه بطل الثورة العربية ورمزها في العصر الراهن، وعلى وجه الدقة في الخمسينيات والستينيات من قرننا العشرين.

ينتسب جمال عبد الناصر، كما كتب هو عن نفسه [١] إلى قرية بني مر ، إحدى قرى الصعيد المصري وهي قرية من قرى مديرية أسيوط، صغيرة مجهولة لم يكن لها صدى بين الناس، ومنعزلة، وبعيدة عن العمران[٢]. ومن هذه القرية الموغلة في القدم خرج القادة المصلحون والمحررون منذ الأزمان السحيقة، أمثال سيك وكاموس وأحمس محرري وادي النيل، وحتشبتوت صاحبة العمائر السلمية، عهد السلام، واخناتون الفيلسوف الموحد المعروف [٣].

إن هذه القرية هي ذاتها التي استجابت أولاً واستجابت أخيراً، وهيأت | فيها للحادث الجلل، هي ذاتها بمبانيها المتهالكة التي يسكنها خمسة آلاف يعيشون على زراعة ألفي فدان ... وهي ذاتها التي عاشت الحرمان وظلت م بعيدة عن الثروة والجاه والشهرة [٤] .

لقد كان مقدراً لبني مرّ أن ترزح تحت عبء التخلف والجهل كسواها. الصعيد المصري التي عاشت أحقاباً طويلة محرومة من اهتمام الحكام على العصور[٥]. كان مقدراً لها أن تغوص في دياجير الجهل والبؤس

---

(١) جمال عبد الناصر، فلسفة الثورة (القاهرة: وزارة الثقافة والإعلام، [د. ت.]، ص ٢٧.
(٢) فوزي عطوي، جمال عبد الناصر: رائد التاريخ العربي الحديث بيروت الشركة اللبنانية للكتاب،١٩٧٠، ص٢٦
(٣) ذو الفقار قبيسي ونجيب صالح ناصر الشهيد الحي (بيروت: دار الصياد ص ٣ وروبرت سان جون، الرئيس تقديم سعد زغلول نصار (القاهرة: الهيئة المصرية العام والنشر، (١٩٧٠)، ص ٤٢ - ٤٣ .
(٤) المصدر نفسه؛ ولتون وين ناصر العرب البحث عن الكرامة، نقلته إلى العربية الأساتذة الجامعيين (بيروت: منشورات المكتب التجاري، ١٩٥٩) ، ص ٢٣.
(٥) أنور الجندي، هذا هو جمال (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٦٠)، ص ٢٣.

والتخلف تولاها بالإصلاح، وبالغ الاهتمام رجل من خيرة رجالها، هو الحاج حسير سلطان، الرجل التقي المؤمن. وكان هذا الرجل الفاضل هو جد جمال عبد الناء وكان وجهاً متميزاً وسط مجتمع القرية الفلاحي الملتصق بالأرض والزراعة، تبوأت أسرته مكانة مرموقة بين الناس البسطاء هؤلاء. وقد اشتهرت هذه بالكرم والسخاء وشدة البأس، ومن هنا سميت ربوعهم بـ «رحبة آل سلطان» [١] عز على الشيخ حسين أن تظل قريتهم محرومة من نور العلم والتعليم، ومعر الوقت ذاته لاغتصاب أراضي زارعيها وساكنيها، ومن قبل دهاقنة الإقطاع والبر العقارية، فقرر إنشاء مدرسة لأطفال القرية، منطلقاً من مفهومه التنويري الإصلاحي القاضي باعتبار التعليم الطريق القويم لتطوير القرية وانتشال الفلاحين و معاناتهم المؤلمة المزمنة، وكان هذا المفهوم يبدو متقدماً بالنسبة لعصره، وخصوصاً على خلفية الجهل المستحكم، والنزوح المستمر إلى المدينة، والضرائب الثقيلة وصنوف الأذى البالغ المفروضة على الفلاحين [٢].

وهكذا تبلورت فكرة إنشاء المدرسة في ذهن الشيخ حسين خليل سلطان، ففاتح بعض معارفه بها، فلاقت التأييد والاستجابة المتحمسة وبجهود الشيخ حسين والقرويين تم افتتاح مدرسة متواضعة (كتاب) في عام ١٨٩٨، كانت عبارة عن غرفة صغيرة، فرشت بالحصير لتعليم الصغار القراءة والكتابة وحفظ القرآن. وقد تطوع الشيخ أحمد قراعة، إمام المسجد، لتعليمهم [٣].

وكان من بين التلاميذ الملتحقين بهذه المدرسة (الكتاب) عبد الناصر، النجل الأكبر للحاج حسين خليل سلطان. وفي ١٨ كانون الثاني / يناير ١٩٠٣ أنهى عبد الناصر دراسته مستوعباً علوم المسجد، مجيداً القراءة والكتابة وحفظ القرآن. وبانتهاء هذه المرحلة أصبح والد عبد الناصر أمام خيارين : إما أن يعيد ابنه إلى الزراعة، أو يتيح له نهجاً آخر لمتابعة تعليمه ولما كانت المنطقة تفتقر إلى مدرسة قرر بعثه إلى أصهاره الذين كانوا قد استقروا في الاسكندرية تجاراً، لا تمام تعليمه. وهكذا سافر عبد الناصر إلى أخواله في الاسكندرية في عام ١٩٠٤، ملتحقاً بمدرسة خويصة الابتدائية بالباب الحديد، وكانت تسمى مدرسة النجاح الأهلية». وكان دخول

---

[١] كان والد جمال عبد الناصر من صغار الملاكين في القرية الذين يستثمرون أرضاً لا تزيد على خمسة فدادين انظر جان لاكوتير، عبد الناصر (بيروت: دار النهار (١٩٧١)، ص ٢٣

[٢] وصفت هكذا لرحابة خلقهم وكرمهم، وحسن ضيافتهم ووردت في بعض المراجي رهبة» لشدة وعزم وحزم أهلها للتفصيل انظر : قراعة حارس المجد، جمال عبد الناصر، ص ٥

[٣] عطوي، جمال عبد الناصر : رائد التاريخ العربي الحديث، ص ٢٨ ؛ قبيسي وصالح، ناصر الشهيد الحي، ص ٦ ، ولاكوتير، المصدر نفسه، ص ٢٣.

عبد الناصر المدرسة نقطة التحول الأولى في حياة (بني مر)[١]. أما نقطة التحول الثانية في حياته فكانت خروجه من بني مرّ راحلاً إلى الاسكندرية، فقد كان لهذا الحدث، كما سنرى، أثره البالغ في تغيير مجرى الأحداث.

وقد واصل عبد الناصر تعليمه حتى أنهى دراسته الابتدائية. وعين، فيما بعد، معاوناً لبريد الاسكندرية، فكان بذلك، أول أبناء القرية الذين تولوا مهام الوظيفة الحكومية. وكان الالتحاق بالوظائف الحكومية آنذاك أمراً باعثاً على الاحترام، مرغوباً فيه تماماً، لكونه من دواعي الاستقرار الحياتي، والتغيير النوعي في مظاهر الحياة وأسبابها [٢].

تزوج عبد الناصر في عام ١٩١٧ من فهيمة محمد حماد، ابنة تاجر الفحم بمديرية المنيا، الذي استطاع بعد قدومه من الصعيد، وفي فترة قصيرة نسبياً، تكوين ثروة لا يستهان بها، جعلته من التجار المعروفين فيها. وكان هذا الزواج سعيداً بين رجل قوي الشخصية وامرأة ذكية حكيمة مدبرة [٣]. وإلى ذلك يشير جمال عبد الناصر بقوله: «كنا دائماً أسرة سعيدة يحكمها أبي، ولكن القوة الحافظة فيها كانت أمي التي كنت أنا وإخوتي نتفانى في حبها.[٤]

وفي الخامس عشر من شهر كانون الثاني / يناير ١٩١٨، وفي إحدى ضواحي الاسكندرية، المسماة باكوس، وفي شارع الدكتور قنواتي في المنزل رقم، ولد الابن البكر للعائلة: جمال في مسكن صغير مؤلف من خمس غرف وحديقة صغيرة، وما زال قائماً لحد الآن [٥]. وكانت البهجة بالمولود الجديد مضاعفة، كتعويض عن وفاة عم الوليد البكر عبد الباسط.

ولد جمال عبد الناصر في جو عربي صميم. فقد كانت والدته اسكندرانية من الوجه البحري، ووالده صعيدي من بني مر من الوجه القبلي. وكانت أسرة والده، كما مر بنا، تتميز بالصلابة والجرأة والقوة والشجاعة

---

[١] قبيسي وصالح المصدر نفسه، ص ٦٨

[٢] أجاريشيف جمال عبد الناصر، ترجمة سامي عمارة موسكو: دار التقدم، ١٩٨٣، ص ٤.

[٣] نثيلة راشد جامع حكاية كفاح ضد الاستعمار للشباب (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (١٩٧١)، ص ١١ ، وقراعة، المصدر نفسه، ص ٤٨.

[٤] عمر أبو النصر جمال عبد الناصر : ساعات مثيرة مؤثرة من حياته (بيروت: مكتب عمر أبو النصر للتأليف والترجمة والصحافة، (١٩٦٧)، ص ١٠.

[٥] عطوي، جمال عبد الناصر : رائد التاريخ العربي الحديث، ص ١٦.

وعدم الاستكانة للضيم، ومقاومة المعتدي أياً كان. وهكذا كانت العروبة والروح العروبية بمعنى الاعتزاز بالعرب وبالتراث العربي والأخلاق العربية أصيلة عريقة في أجواء هذه الأسرة [١] .

وقد التحق بالمدرسة في حوالي السادسة من عمره، وحين نقل والده من الاسكندرية إلى قرية الخطاطبة، بات طالباً في مدرسة هذه القرية النائية الواقعة على أطراف الصحراء بالقرب من دلتا نهر النيل، وهي المدرسة التي شيدت لأبناء موظفي سكة حديد الخطاطبة، وكان الصف الواحد فيها يضم ستين طالباً. والجمال عبد الناصر ذكريات حافلة بالشجون عن هذه القرية ومدرستها [٢]. وقد أكد معاصروه، ومنهم زميله وصديقه عبد الحميد شاهين بن [٣] الموظف بهندسة سكة حديد قرية الخطاطبة، أن جمال كان القدوة بين أقرانه في الدراسة والسلوك القويم: «كان يعشق المذاكرة وقراءة الصحف والمجلات التي تصل القرية، ويتنزه ساعات عصر كل يوم وعيناه لا تفارقان صفحات كتابه ودلالات الزعامة كانت واضحة لديه، ولكنه لم يكن يبدو عليه شعور التفوق علينا. لذلك أحببناه، وكان يوقد جذوة المودة الصادقة.

لقد أدرك جمال عبد الناصر، في وقت مبكر، وفي قرية الخطاطبة بالذات، سر المأساة التي تعصف بالواقع الفلاحي المصري. وساعده على ذلك، أساساً، التصاقه بالبيئة الشعبية واصطدامه بتناقضاتها. لقد عاش عالماً فلاحياً مصغراً، يتسلط عليه التحام الاستغلال الاقطاعي والرأسمالي في شخص واحد. فالرأسمالي كان في الوقت ذاته ملاكاً كبيراً عاتي السطوة. وعلى العموم كانت المصلحة المشتركة في الملكية توحد الطبقتين[٤]. وقد تجسد ذلك بصور عديدة، كانت إحداها ذات صلة مباشرة بالفتى جمال، وهي صورة دوبييه الفرنسي اليهودي الذي كان يملك قرية وادي النطرون والدور التي تسكنها العوائل المصرية، ومن بينها عائلة جمال عبد الناصر. وكان دوبييه هذا مستغلاً شرها يرفع أجور الدور سنوياً، وبشكل غير متوازن مع الدخول. أما الصورة الثانية التي رسخت في وعي جمال عبد الناصر فهي قصة الفلاح شحاته رجب، التي أشار إليها في كتابه فلسفة الثورة، وهي قصة كانت تتكرر باستمرار، فالباشا الاقطاعي كان بإمكانه أن يجبر القائمين بمهام عمدة القرية على خلع أحذيتهم والمشي على الأشواك، فكيف لا يستطيع جلاوزته إجبار شحاته على التخلي عن أرضه

(١) راشد، جامع حكاية كفاح ضد الاستعمار، ص ٤٤ - ٥٣ ، وأبو النصر، جمال عبد الناصر : ساعات مثيرة مؤثرة من حياته، ص ١٠ - ١١.
(٢) أجاريشيف المصدر نفسه، ص ٥.
(٣) أبو النصر، جمال عبد الناصر : ساعات مثيرة مؤثرة من حياته، ص ١٨.
(٤) ابراهيم عامر ، ثورة مصر القومية (القاهرة: دار النديم، ١٩٥٦) ، ص ٤٣؛

ومغادرة القرية [١]. وإلى جانب هذه الصور كانت ثمة صور أخرى رسخت في وجدان الفتى، منها مشاهداته اليومية للفلاحين والرعاة يفترشون الأرض بأسمالهم المهلهلة، ويأكلون الخبز الأسمر الجاف بغير أدام، وبقليل من الملح والجبن القديم والحشائش. وكان يسوؤه جداً أن يرى هؤلاء البؤساء يواصلون أعمالهم في استكانة وخنوع وذلة.

التحق جمال بمدرسة النحاسين الابتدائية في شارع النحاسين الضاج بلقط ومعروضات الصناع المهرة ومنتجات إبداعهم الشعبي المتطور صاغة وحدادين ونحاسين وخياطين وهواة ومهرجين. وكان الدراويش يرقصون أمام مسجد الحسين، غير بعيد عن الشارع، أيام الأعياد الشعبية [٢] . وكان العم يلهب الحماس الوطني والقومي للفتيين، من خلال حكاياته وتعليقاته على مجريات الأحداث. وثمة تعليق دال ينبغي الإشارة إليه مثلاً لا حصراً، فقد روى الفتيان للعم واقعة دهس عربة انكليزية لفتاة مصرية، وتركها أمام الناس جميعاً تتخبط في دمها، فعلق العم بأن مثل هذا الوضع سيستمر ما دامت الحال هكذا، ولن يكون التغيير إلا بظهور الرجل المنقذ الذي يطرد الإنكليز ويصحح الأمور[٣]. وكان العم يؤكد دوماً، حاجة الأمة إلى بطل.

وكان جمال من الطلبة المتميزين في هذه المدرسة اجتهاداً، والتزاماً، وانضباطاً. وقد ساعده تأمله وهدوؤه في دراسة ما حوله في تلك الفترة، دراسة عميقة. ولهذا كانت هذه المرحلة من أخصب مراحل حياته تأسيساً فكرياً. فقد كانت البداية الأولى لتكوين الفكر الناصري. ففي هذه المرحلة بالذات فتح عينيه على العمل السياسي متعاطفاً ومشاركاً، الأمر الذي كان له دوره البالغ في صقل أفكاره [٤].

---

(١) أبو النصر، جمال عبد الناصر : ساعات مثيرة مؤثرة من حياته، ص ١٨

(٢) قراعة حارس المجد، جمال عبد الناصر، ص ٥٢.

(٣) أجاريشيف المصدر نفسه، ص ٧.

(٤) راشد جامع حكاية كفاح ضد الاستعمار، ص ١٠، وقراعة، حارس المجد، جمال عبد الناصر، ص ٥٧.

المطلب الثاني

نشاطه العسكري قبل الثورة

بدأت رحلة جمال عبد الناصر العسكرية بالتحاقه في السابع عشر من آذار/ مارس ١٩٣٧ بالكلية الحربية، الدورة الثانية التي ضمت أربعاً وأربعين طالباً، ضمن السرية الثانية). وكما أسلفنا القول، فإن التحاقه بالكلية الحربية بالذات، كانت له دلالته البالغة، فهو ليس مسألة نزوة أو مزاج، وليس سعياً وراء الامتيازات، أو الشكليات أو التباهي أو تطمين عقد مستحكمة من قبيل البحث عما يشبع الحاجة إلى الاحترام والهيبة والسيطرة على الآخرين، أو التعويض من ذلة وهوان سابقين، أو التشبه بالبونابرتية بكل احتقاناتها الذاتية المرضية وما تهيئه من جذور للنزوع نحو الدكتاتورية والاستبداد. قطعاً لم تكن الأمور في خلفية السعي المستمر للالتحاق بالكلية الحربية، برغم أهميتها في واعيات وكامنات عسكريين آخرين زملاء الجمال عبد الناصر، أو عسكريين آخرين في الوطن العربي عموماً، إنما التحاقه بالكلية الحربية (وهو أمر ناضل من أجله طويلاً، وأصر عليه، وضحى بأمور كثيرة من أجله بما فيها دراسة القانون وغير ذلك كان نابعاً من إيمانه العميق بأهمية تحرير مصر والأمة العربية، حرصاً منه على اختيار الطريق الأقصر لبلوغ الأهداف الثورية، وفي طليعتها التحرير. فقد كان يؤمن أعمق الإيمان، أن تحرير الأرض وإسعاد الشعب لن يكونا إلا بالقوة . كما كان موقناً أن وسيلة هذه القوة هي الجيش بكل ما يوفره من عناصر للحسم الأسرع ولتعزيز الانجازات القتالية على كل الجبهات. ولكل ذلك آمن به واتجه اليه وسعى بكل قواه للالتحاق به. وعلى صعيد الفكر السياسي الثوري يمكن القول إن نزوع الثوار للاستعانة بالجيش والقوات المسلحة على مختلف مستويات هذه الاستعانة، كان وما زال سمة مميزة للثورات الشعبية في العالم الثالث، وبخاصة في الوطن العربي، بما في ذلك مصر التي تحتفظ بتاريخ غاية في التميز على تحقيق التغيير الثوري عن طريق الجيش منذ ثورة عرابي. ويمكن القول بالمقابل، ان هذا النزوع الثوري وتنفيذه على أيدي الثوار المعاصرين عزز دور الجيش والقوات المسلحة عموماً في الكفاح الشعبي والتغيير الثوري [١] .

لقد كان يقين جمال عبد الناصر قوياً بأن الجيش يمكن، وينبغي أن يقوم بدور الطليعة. ويمكن أن يستمر في الطليعة حتى تحقيق آمال الوطن العربي وأحلامه كافة . كان اعتقاده بذلك راسخاً، بدأ منذ يفاعته ورافقه

[١] الجندي المصدر نفسه، ص ٢٨ - ٢٩ ، ولاكوتير، المصدر نفسه، ص ٣٦.

طوال عمره السياسي. وهو يشير إلى ذلك بالقول : في سنة ١٩٣٥ كنت طالباً بجامعة القاهرة، ثم تركت الجامعة، وكان يجول بخاطري دائماً الطريق الذي نسير فيه والمصاعب التي تقف في سبيلنا، كانت أمامنا كل المصاعب في هذا الوقت، وكان الطريق إلى تحرير الوطن شاقاً طويلاً ... » [١]، فقد كان طريق الجيش هو السبيل الوحيد لهدم القوة الغاشمة الخائنة، فنظمنا أنفسنا نحن الضباط الأحرار، نعاون اخوة لكم في جيشكم لكي يحققوا الآمال التي كانت تجيش بصدوركم أنتم، ويمحو الذل الذي كنا نرسف فيه [٢] .

إن «طريق الجيش» سبيلاً وحيداً لهدم القوة الغاشمة الخائنة»، أي التغيير الثوري بواسطة الجيش قد استحق العديد من الكتب والمتابعات كتبها كتابها بمختلف اللغات، وكان معظمها متعاطفاً مع هذه التجربة التاريخية المصرية الراديكالية. ومن هذه الكتب كتاب البرت حوراني الفكر العربي في عصر النهضة [٣] ، حيث نقرأ في خاتمة الكتاب الماضي والمستقبل مثل هذه الكلمات البالغة الدلالة والمغزى:

ان هناك سبباً إيجابياً وطبيعياً لذلك هو تطلع الراغبين في إحداث تغييرات سريعة في منطقة لم يكتمل وعيها السياسي بعد، إلى قوة ما تستطيع أن تحقق بنفسها ما يحققه ضغط الرأي العام المثقف والمنظم في بلدان أخرى. وفي ذلك يقول أحد مراقبي الحياة السياسية العربية: إن طبقة الضباط العرب النبهاء غدت مستودع القوة السياسية الواعية في وقت كانت فيه الطبقة الحاكمة التقليدية قد أفلست، ولم تكن القوى الأخرى النامية قد تبلورت بعد، فأخذت الجماهير ترى بالفعل هذه الطبقة المخلص المنتظر». والواقع أن الفئة العسكرية المصرية كانت، من بين جميع الفئات العسكرية التي تسلمت الحكم في مختلف البلدان، الفئة التي أحرزت أقصى النجاح في استقطاب آمال القومية العربية وأمانيها ومطامحها» [٤] .

لقد كان جمال عبد الناصر بالغ الجد والدأب في دراسته العسكرية، متميزاً بين أقرانه منذ لحظة التحاقه بالكلية الحربية. وكان حريصاً على اجتياز فترة الاختبار التي دامت خمسة أشهر لتقر صلاحيته لمهنة العسكرية، بعد أن رصدت جميع تصرفاته وميوله النفسية ومستويات استيعابه للعلوم العسكرية التي تلقاها، والتمارين العسكرية التي أداها. وبعد اجتياز فترة الاختبار هذه، انتقل إلى القسم الإعدادي بالكلية، حيث تعرف على الأسس

---

(١) الجندي، المصدر نفسه، ص ٢٩

(٢) اسماعيل وآخرون، جمال عبد الناصر : الحب والخير والثورة، ص ٣٢ - ٣٣.

(٣) ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ١٧٩٨ - ١٩٣٩، ترجمة كريم عزقول، ط ٣ (بيروت: دار النهار، (١٩٧٧).

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٢٧

المشتركة للوحدة الصغرى في جميع الأسلحة، وتدرب بصورة عملية على جميع أعمال الميدان، وتعلم صفات القيادة ومقوماتها، واصطلاحات الحرب وأساليبها الفنية والتكتيكية سواء أكان المقاتل فرداً في الجيش أم قائداً له.

ثم انتقل جمال من القسم الإعدادي إلى القسم المتوسط في الكلية، وتدرب في هذا القسم على قيادة فرقة المشاة، وأصبح مؤهلاً ليكون قائد فصيلة في الميدان، ملماً بوسائل الميدان الخاصة بمواد الحرب، وهذه الوسائل هي الإشارة وهندسة الميدان والطوبوغرافيا وفن القتال. وبانتقال جمال من القسم المتوسط إلى القسم النهائي في الكلية الحربية تسلح كزملائه بكفاءات عسكرية رفيعة المستوى. وكان متميزاً بينهم، وهذا أمر فطنت إليه إدارة الكلية الحربية [١] ، فقد حظيت قدراته التنظيمية العسكرية برفيع تقديرها [٢]، الأمر الذي يتضح مما كتبه عبد الواحد عماد، عميد كلية الحربية ومدرس المدفعية والفنون العسكرية آنذاك، عن جمال طالب الكلية، حيث نقرأ : الطالب جمال عبد الناصر حسين ذو النظرة الجدية للحياة منذ رأيته، ومنذ التحق بالكلية الحربية في آذار / مارس عام ١٩٣٧ وأنا أراه لا يميل للمزاح، فلا يأتي بحركات تخرج عن حدود الرزانة والوقار، وهو رفيق مثالي يحبه رفاقه وأساتذته جميعاً. ومما عرفته أنه يعمل لكل شيء حساباً، ويقدر العواقب، ويعمل وفق ما يرضي ضميره وربه» [٣]. كل هذه المواصفات جعلت من جمال قائداً، لذلك كان لا بد أن يأخذ دوره الطليعي والطبيعي بين زملائه حينما بدأ يتدارس معهم هموم الأمة. هذا من جانب، ومن جانب آخر كان إلمامه واسعاً بالشؤون العسكرية، لذلك أصبح ذا كفاءات عسكرية عالية جعلت المسؤولين في الكلية الحربية يسندون إليه سلطات قائد الجماعة (عريف). وهي رتبة عسكرية لا تمنح عادة إلا للمتفوقين من الطلاب، وهي تؤهلهم لتعليم الطلاب المستجدين وتدريسهم مبادىء العسكرية ومبادىء القيادة. إن هذا الموقع جعله ينفتح على عموم الطلبة، لذلك اكتسب شعبية واسعة وصداقات عميقة مع رفاقه في المسيرة. وكان عبد الحكيم عامر أقرب أصدقاء جمال في تلك الحقبة، مما لاحظه الجميع [٤] ، وكانت مكتبة الكلية ملتقاهما المفضل، وذلك لميلهما المشترك إلى المطالعة التي جعلت منهما صديقين حميمين. كان جمال ذا شخصية قوية وتأثير كبير في زملائه بحكم الموقع الذي تبوأه (قائداً للجماعة)، وبسبب عقله الراجح، وقدرته على الإقناع والحوار المتميز. وفي قاعة المطالعة

---

[١] فوشيه جمال عبد الناصر في طريق الثورة، ج ١، ص ١١٣.
[٢] المصدر نفسه، ص ١١٣ ، والجندي ، هذا هو جمال، ص ٥٦ - ٥٨ .
[٣] الجندي المصدر نفسه، ص ٣٨ ، والشمالي ناصر القومية العربية، تحليل أدبي وسياسي وتاريخي لحياة الرئيس جمال عبد الناصر، ص ٦٨.
[٤] فوشيه المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٤.

بمكتبة الكلية تعرف على رفاق دربه، وبدأ باستمالتهم بحوار ذكي متبصر بجدية للبحث عن وسيلة لخلاص الأمة من خلال المواضيع التي تتناول مستقبل مصر والأمة العربية، وسبل الخلاص [١] .

بدأت قراءات جمال عبد الناصر في مكتبة الكلية الحربية تنحو منحى أكثر جدية واتساعاً من ذي قبل، نظراً لوضوح الرؤية لديه من جهة، ولقدرته على القراءة بلغة أجنبية، من جهة أخرى. وهنا، وفي هذه المرحلة، بدأت أفكاره الكثيرة حول النهج وتحديد ماهيته ومعالمه كما ازداد اهتمامه، وبصورة استثنائية بدراسة سير العظماء أو البطل في صورة مقاتل بتعبير توماس كارليل، إذ ان النهج طغى على معظم قراءاته [٢]. وحينما نستشير الجدول الإحصائي الذي وضعه فوشيه نجد أن عدد الكتب التي قرأها في تلك الفترة، في هذا الحقل عشرون كتاباً من مجموع خمسة وثلاثين كتاباً. وتأتي في مقدمة هذه الكتب مؤلفات عن نابليون، الذي قرأ عن سيرته خمسة كتب، وعن ونستون تشرشل ثلاثة كتب، وعن غوردون [٣] كتابين، وكتباً عن بسمارك، وأتاتورك، وغاريبالدي ولورنس، وفوش [٤] ، والاسكندر، وهندنبورغ [٥] وغيرهم. أما الكتب الأخرى الباقية التي بلغ مجموعها خمسة عشر كتاباً فكان معظمها متعلقاً بالتاريخ العسكري، إذ استحوذ تاريخ الاستراتيجية الألمانية في الحرب العالمية الأولى على قسم منها، واحتفظ التاريخ العسكري للشرق الأوسط بما تبقى، ولا سيما سوريا وفلسطين وسيناء. وفي رأي غير باحث، أنه من خلال التاريخ العسكري وصل جمال عبد الناصر إلى طريق فلسطين، قبل أن يمشي خطوة واحدة على ترابها [٦].

في هذه المرحلة بدأ الفكر القومي التحرري يحتل حيزاً في فكر جمال عبد الناصر، إذ لم يكن هذا الفكر قبل ذلك الوقت سوى فكر استراتيجي تحركه الوطنية المصرية التقليدية أكثر من أي شيء آخر، ولكنه تركز لديه وتبلور مقوماً أساسياً بنتيجة المحصلة التي أغنتها قراءات لاحقة اهتمت بدراسة التاريخ العربي والقومية

---

[١] اسماعيل وآخرون، جمال عبد الناصر: الحب والخير والثورة، ص ٤٦.
[٢] ناتنج، ناصر، ص ٣٩؛ فوشيه المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٨ - ١٢١، ولاكوتير، عبد الناصر، ص ٣٧
[٣] تشارلز جون غوردون (١٨٣٣ - ١٨٨٥) قائد بريطاني شهير، اشترك في العديد من الحروب المعروفة، بما في ذلك حرب القرم، عين حاكماً عاماً للسودان وقتل على يد قوات المهدي.
[٤] فرديناند فوش (١٨٥١) - (١٩٢٩) قائد فرنسي معروف، أدى دوراً متميزاً في معارك الحرب العالمية الأولى على الساحة الفرنسية، عين قائداً عاماً لقوات الحلفاء في آذار / مارس ١٩١٨
[٥] بول فون هندنبورغ (١٨٤٧) - (١٩٣٤) قائد الماني معروف عين في العام ١٩١٦ قائداً عاماً لجيوش دول الوسط، انتخب رئيساً للجمهورية عام ١٩٢٥ ، عين هتلر رئيساً للوزراء في كانون الثاني / يناير ١٩٣٣، بقي بعد ذلك رئيساً اسمياً للدولة حتى وفاته .
[٦] الظاهر القومية العربية والنظرية القومية في منظور التجربة الناصرية، ص ٢٩، ولاكوتير، المصدر نفسه، ص ٣٧.

العربية [١] ، وأبرزها مؤلفات المفكر القومي العروبي ساطع الحصري [٢] فقد كان معجباً بكتاباته التي أسهمت في صقل وبلورة البناء القومي والعربي لديه [٣]. ومن المفيد أن نشير إلى أن جمال عبد الناصر التقاه فيما بعد، وأمر بتكريمه، ومنحه جائزة الدولة لعام ١٩٦٥، وهي جائزة تشجيعية لا تمنح عادة إلا للمصريين" [٤].

وكان من جملة فقرات برنامج جمال الأخرى في المتابعة الفكرية – السياسية في تلك الحقبة من حياته قراءة كتب في تاريخ مصر، وكان أبرزها كتاب تاريخ الثورة المصرية بأجزائه الثلاثة للمؤرخ المصري المعاصر عبد الرحمن الرافعي [٥]. كما ضم البرنامج سبعاً من المجلات العربية والأجنبية، وقد أسهمت قراءاته هذه، دون شك،وانطلاقه من منظور قومي عربي تحرري

المبحث الثاني

المطلب الاول

دور جمال عبد الناصر في حركة الضباط الاحرار ودوره في الثورة وتولي جمال الحكم في مصر

تزامنت عودة عبد الناصر لمصر مع انقلاب حسني الزعيم بسوريا وقد شجع نجاحه الواضح عبد الناصر في مساعيه الثورية بعد فترة وجيزة من عودته استدعى رئيس الوزراء ابراهيم عبد الهادي جمال عبد الناصر لاستجوابه بشأن شكوك بأنه تم تشكيل مجموعة سرية من ضباط المعارضة حيث نفى ناصر هذه الشكوك بشكل مقنع وكان ابراهيم مترددا في اتخاذ تدابير جذرية ضد الجيش خصوصا أمام رئيس أركانه الذي كان حاضرا أثناء الاستجواب وأفرج عليه في وقت لاحق في حين سرع من وتيرة أنشطة جماعته.

---

[١] جمال عبد الناصر، يوميات عبد الناصر عن حرب فلسطين تقديم محمد حسنين هيكل باريس: مؤسسة الوطن العربي للطباعة والنشر، (١٩٧٨)، ص ١٩ و ١١٥ - ١١٩.

[٢] مفكر قومي عروبي رائد كان مؤمناً بوحدة الأمة العربية وبطلان الحواجز وحوازات السفر التي تفصل بين أبناء الأمة الواحدة، وضع برنامجاً فكرياً يكاد يكون متكاملاً للارتقاء والنهوض بالأمة العربية عبر الصيغ التربوية، وهو يعد أول مفكر عربي معاصر عمل على إرساء دعائم نظرية الوحدة بعد الحرب العالمية الأولى، كتب مؤلفات عربية أكدت، دوماً، على عروبية نهجه، وعلى حتمية انتصار العروبة في الصراع الدائر بينها وبين أعدائها. من هنا كان جمال عبد الناصر يستلهم أفكاره خصوصاً في بدايات تبلور الفكر الناصري.

[٣] أكد جمال عبد الناصر ذلك شخصياً أثناء لقائه بكريمة الحصري في ٢٤ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٨. مقابلة مع سلوى ساطع الحصري بتاريخ ١٠ حزيران/ يونيو ١٩٩٥.

[٤] ألف باء (بغداد) (١٥) أيار / مايو (١٩٩٥)، ص ١٠ - ١١.

[٥] عرف باتجاهاته الوطنية، اشترك في ثورة ١٩١٩ ، تعرض للاعتقال، دخل البرلمان نائباً معارضاً، حاز على جائزة الدولة التقديرية للعلوم الاجتماعية في عهد جمال عبد الناصر بتاريخ ١٧ كانون الأول / ديسمبر ١٩٦٣.

بعد ١٩٤٩ اعتمدت المجموعة السرية اسم حركة الضباط الأحرار. قام عبد الناصر من تنظيم اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار وتألفت من أربع عشر – ١٤ تنظيم اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار وتألفت من أربع عشر – – ضابطا من مختلف الخلفيات السياسية والاجتماعية بما في ذلك ممثلين عن الشباب المصريين والأخوان المسلمين والحزب الشيوعي المصري والطبقة الأرستقراطية انتخب ناصرا رئيسا للجنة بالاجماع. وفي الانتخابات البرلمانية سنة ١٩٥٠ فاز حزب الوفد بأغلبية المقاعد. ويرجع ذلك الى غياب جماعة الاخوان المسلمين الذين قاطعوا الانتخابات بدأت الاتهامات بالفساد ضد سياسيي حزب الوفد تطفو على السطح وانتشرت الشائعات والشكوك حولهم مما جلب الضباط الأحرار الى واجهة الحياة السياسية المصرية. في حين ارتفع أعضاء الجمعية الى ٩٠ عضوا ووفقا لخالد محي الدين لم يعرف أحد جميع الأعضاء ومكانهم في التسلسل الهرمي للجمعية باستثناء عبد الناصر حيث أكد أن الضباط لم يكونوا على استعداد للتحرك ضد الحكومة وكان نشاطه مقتصرا على تجنيد الضباط ونشر منشورات سرية لمدة طويلة [١].

وفي ١١ أكتوبر ١٩٥١ ألغت حكومة الوفد المعاهدة البريطانية المصرية لعام ١٩٣٦ والتي أعطت السيطرة لبريطانيا على قناة السويس حتى سنة ١٩٥٦. وحسب أنور السادات أن ناصر قرر شن حملة اغتيالات على نطاق واسع * وفي حانفي ١٩٥٢: حاول عبد الناصر وحسن ابراهيم قتل حسين سري عامر ببنادقهم الرشاشة بينما كان يقود سيارته في القاهرة وبدلا من قتله أصاب أحد المهاجمين امرأة كانت مارة من جانبه مما جعل ناصر يبكي ويعدل عن فعلته هذه [٢].

حيث كان حسين سري مقربا من الملك فاروق, ورشح لرئاسة نادي الضباط . وكان جمال عبد الناصر مصرا على استقلال الجيش عن النظام الملكي وطلب من محمد نجيب الانضمام الى جمعية الضباط الأحرار عن طريق عبد الحكيم عامر حيث كان ضابطا شعبيا قدم استقالته للملك فاروق عام ١٩٤٢ وأصيب ثلاث مرات في حرب فلسطين [٣].

---

[١] أحمد, حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو, عبد الناصر والعرب ج ٣, دار الموقف العربي القاهرة, (د ت) ،ص ١٥٠

[٢] سامي شرف، مصدر سابق،ص ٤٥

[٣] عادل حمودة : عبد الناصر أسرار المرض والاغتيال, ط١ الدار العربية للطباعة, القاهرة, ص ٣٠٢.

ثورة ٢٣ جويلية ١٩٥٢:

٢٥ جانفي ١٩٥٢: حدثت مواجهة بين القوات البريطانية وشرطة الاسماعيلية أدت الى مقتل أربعين من رجال الشرطة المصرية بالرصاص . ودارت أعمال شغب في اليوم التالي. مما أسفر عن مقتل ٧٦ شخص بعد ذلك نشر ناصر برنامجا من ست نقاط لمصر في مجلة روز اليوسف لتفكيك الاقطاع والقضاء على النفوذ البريطاني في ماي ١٩٥٢. حيث تلقى ناصر خبر معرفة أسماء الضباط الأحرار من قبل الملك فاروق وسيقوم بالقاء القبض عليهم فوكل مهمة التخطيط للاستيلاء على الحكومة الى زكرياء محي الدين بمعية وحدات الجيش الموالية لجمعية الضباط الأحرار. حيث أن نيتهم ليست تثبيت أنفسهم في الحكومة وانما اعادة انشاء دولة ديمقراطية برلمانية . وأن عبد الناصر لم يعتقد أن ضابطا من ذوي الرتب المتدنية من شأنه أن يكون مقبولا لدى الشعب المصري. حيث أختير محمد نجيب لقيادة الثورة التي أنطلقت يوم ٢٢ جويلية وأعلن عن نجاحها بعد أسبوع لاستيلاء الضباط الأحرار على جميع المباني الحكومية والمحطات الاذاعية ومراكز الشرطة وكذلك مقر قيادة الجيش في القاهرة [١].

وكان العديد من الضباط المتمردين يقودون وحداتهم. حيث ارتدى ناصر الزي المدني لتجنب القبض عليه من طرف النظام الملكي وفي خطوة لأبعاد التدخل الأجنبي أخبر عبد الناصر الولايات المتحدة الأمريكية والحكومة البريطانية. قبل يومين من انطلاق الثورة عن نواياه واتفق معهم على عدم مساعدة الملك فاروق. وتحت ضغط من أمريكا وافق على نفي الملك المخلوع مع اقامة احتفال تكريمي [٢].

وفي يوم ١٨ جوان ١٩٥٣ : تم الغاء النظام الملكي واعلان قيام النظام الجمهوري في مصر وكان محمد نجيب أول رئيس للجمهورية في مصر حيث جاء على لسان سعيد أبو الريش قائلا: بعد توليهم السلطة أصبح ناصر والضباط الأحرار أوصياء على مصالح الشعب ضد النظام الملكي وطبقة الباشاوات وطلبوا من رئيس الوزراء السابق علي ماهر قبول اعادة تعيينه في موقعه السابق وتشكيل مجلس وزراء بأكمله من المدنيين حكم الضباط الأحرار باسم مجلس قيادة الثورة وعين محمد نجيب رئيسا وجمال عبد الناصر نائبا للرئيس حيث قامبالعديد من الاصلاحات كقانون الاصلاح الزراعي والغاء النظام الملكي واعادة تنظيم الأحزاب السياسية .

---

[١] هدى, عبد الناصر : السيرة الذاتية لجمال عبد الناصر, مكتبة الاسكندرية مصر ص ١٨٣

[٢] المصدر نفسه،ص ١٨٤

واستقالة علي ماهر يوم ٧ سبتمبر من رئاسة مجلس الوزراء . وتولى محمد نجيب رئاسة المجلس عوضا عنه وأسندت لناصر نيابة رئيس مجلس الوزراء . وفي سبتمبر تم وضع قانون الاصلاح الزراعي حيز التنفيذ. ومن وجهة نظر عبد الناصر أعطى هذا القانون مجلس قيادة الثورة هويته وحول الانقلاب الى ثورة قبل تطبيق قانون الاصلاح الزراعي في أوت ١٩٥٢ اندلعت أعمال شغب يقودها الشيوعيون في مصانع الغزل والنسيج في كفر الدوار .مما أدى الى اشتباك الجيش معهم مما أسفر عن مقتل ٠٨ جنود و ٠٥ من العمال واصابة ٢٨ شخص آخرين . وأصر معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة.

على اعدام اثنين من زعماء أعمال الشغب حيث رفض الاعدام ومع ذلك تم تنفيذ الحكم حيث فال نجيب في مذكراته: (أنني التقيت بهما وكنت مقتنعا ببراءتهما بل وكنت معجبا بشجاعتهما ولكن صدقت على حكم اعدامهما تحت ضغط وزير الداخلية جمال عبد الناصر لمنع تكرار ما حدث أيد الاخوان المسلمين مجلس قيادة الثورة . وبعد تولي محمد نجيب السلطة طالبوا بأربعة حقائب وزارية في الحكومة الجديدة حيث رفض عبد الناصر مطالبهم ومنح اثنين من أعضاء الجماعة مناصب وزارية طفيفة الخلاف مع محمد نجيب جانفي ١٩٥٣ تمكن عبد الناصر من التغلب على المعارضة بقيادة نجيب وحظر جميع الأحزاب السياسية وأنشأ نظام الحزب الواحد تحت مظلة هيئة التحرير والأخيرة حركة فضفاضة كانت مهمتها تنظيم مسيرات والقاء محاضرات مناوءة لمجلس قيادة الثورة وتولى ناصر منصب أمين عام فيها على الرغم من قرار حل البرلمان حيث كان يفضل القيام باجراء الانتخابات البرلمانية . وظل ينادي بها سنة حيث قاد ناصر الوفد المصري للتفاوض على الانسحاب من قناة السويس عندما كانت علامات الاستقلال من مجلس قيادة الثورة تظهر من نجيب حيث نأى بنفسه عن قانون الاصلاح الزراعي وتقرب الأحزاب السياسية المعارضة لمجلس قيادة الثورة مثل : جماعة الاخوان المسلمين وحزب الوفد . فكر ناصر بتنحيه في جويلية غير أنه سيطر على منصب وزير الداخلية وذلك بعزل الوزير سليمان حافظ الموالي لمحمد نجيب وضغط على نجيب لالغاء النظام الملكي في ٢٥ فيفري ١٩٥٤ أعلن على استقالته من مجلس قيادة الثورة بعد أن عقد مجلس قيادة الثورة لقاء رسميا دون حضوره قبل يومين في ٢٦ فيفري قبل ناصر استقالة نجيب وقام بوضعه تحت الاقامة الجبرية في منزله وعين مجلس القيادة ناصر قائدا للمجلس ورئيسا لمجلس الوزراء على أن يبقى منصب رئيس الجمهورية شاغرا وتم التمرد بين ضباط الجيش وطالبوا باعادة نجيب للحكم وحل مجلس قيادة الثورة وفي ٢٧ فيفري قام أنصار ناصر في

الجيش بغارة على القيادة العسكرية العامة حيث قاموا بإنهاء التمرد ونظم المئات من أعضاء جماعة الاخوان بمظاهرات حاشدة طالبوا بإعادة نجيب للحكم وسجن عبد الناصر وطالبت مجموعة من أعضاء مجلس قيادة الثورة بقيادة خالد محي الدين باطلاق سراح نجيب حيث قبل ناصر بهذه المطالب وقام بتعيين عبد الحكيم عامر قائدا للقوات المسلحة [١].

في ٥ مارس قامت قوات الأمن التابعة لعبد الناصر بسجن الآلاف من المشاركين في المظاهرات الداعمة لنجيب واثارة المستفيدين من الثورة والطبقة البرجوازية والفلاحين والعمال المعارضة قرارات نجيب حيث تم الغاء جميع قرارات محمد نجيب يوم ٢٩ مارس وتم اعتقال جميع مؤيدي محمد نجيب في الجيش ونفي خالد محي الدين الى الخارج (سويسرا) [٢].

المطلب الثاني

الفكر الناصري والتنظيمات السياسية الناصرية المبكرة بعد نجاح الثورة

إن موسوعة الهلال الاشتراكية، وهي موسوعة فكرية – سياسية شارك في تحريرها مجموعة من أبرز علماء مصر ، تحريرها مجموعة من أبرز علماء مصر تقول في تعريف «الفكر» : « ... الفكر كظاهرة عامة بناء فوقي للمجتمع يعكس الأوضاع الاقتصادية والأبنية الاجتماعية في المجتمع. والفكر السائد يُعبّر عن النظام الاقتصادي والاجتماعي السائد. وهذا الفكر السائد هو انعكاس لهذا النظام، وهو كذلك وسيلة لتدعيمه وتثبيته وحمايته» [٣]. وقد ورد تعريف مقارب لهذا التعريف للفكر كذلك في الموسوعة الفلسفية [٤].

وفي التطبيق، نجد أن الفكر الناصري لا يشد، كغيره، عن منطوق هذه المقولة. فالفكر الناصري ابن عصره ومجتمعه، وهو فكر ناصر ومدرسته، وقد كان بناء فوقياً للمجتمع في عهد ناصر، عاكساً الأوضاع الاقتصادية والأبنية الاجتماعية في المجتمع. وبالفعل فقد عبر عن النظام الاقتصادي والاجتماعي الناصري السائد وقتها، وكان انعكاساً أميناً لذلك النظام. ووسيلة فعالة لتدعيمه وحمايته.

---

[١] عادل حمودة : المرجع السابق ص : ٧٥.
[٢] كلمة جمال عبد الناصر في المؤتمر الوطني للقوى الشعبية يوم : ٠٣ جويلية ١٩٦٢.
[٣] موسوعة الهلال الاشتراكية راجعها كامل زهيري (القاهرة: دار الهلال، (١٩٧٠)، ص ٣٩٢ .
[٤] الموسوعة الفلسفية، إشراف م. روزنتال وب. يودين؛ ترجمة سمير كرم، ط ٣ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٨١)، ص ٣٣١

لقد انعكس الفكر الناصري في شتى الميادين والصعد، ومن ذلك صعيد التنظيم وهو ما بحثناه في فكر ناصر التنظيمي لتشكيل الضباط الأحرار»)، وصعيد الفكر العسكري أيام الحرب الفلسطينية ١٩٤٨ وما بعدها)، وصعيد الفكر السياسي والعملياتي الثوري أثناء قيادته ثورة ٢٣ يوليو (١٩٥٢). ومن جملة ما وجد انعكاس الفكر الناصري فيه التنظيمات السياسية الثورية، التي رافقت عهود الثورة (ثورة يوليو) كافة حتى رحيل عبد الناصر بوفاته في عام ١٩٧٠. ان لجوء عبد الناصر إلى إقامة تنظيماته السياسية الشعبية الخاصة بعهده عكس بالضرورة طريقة تفكيره، والنمط الفكري – السياسي المميز له ولعهده. فقد اصطدم منذ البداية بعقليات قادة الأحزاب السياسية قبل الثورة وبعدها. وقد ساعد استشراء المهاترات الحزبية والشخصية والسعي وراء المغانم الذاتية والفئوية والصدامات الحزبية المستمرة، على ترسيخ فكرة الابتعاد عن الحزبية، بل تحين الفرص للقضاء عليها، والاتجاه الحثيث نحو وحدانية التنظيم. يقول محمد فريد شهدي في كتابه تأملات في الناصرية، الصادر بعد وفاة ناصر، وفي معرض بحث التراث الحزبي في مصر: «إن التراث الحزبي في مصر لم يكن تراثاً مشجعاً . فإذا ما طرحنا جانباً أحزاب الرجعية الأحرار الدستوريين و «السعديين» التي لم يكن لها أي نفوذ جماهيري فإننا نجد أنفسنا أمام الوفد . . . والوفد تراث نضالي ضد الاستعمار، لكنه لم يكن حزباً بالمعنى المفهوم للكلمة.

فلا بطاقات عضوية ولا حتى قوائم بالأعضاء مجرد لجان قيادية تتربع فوق تراث من المحبة الجماهيرية التي تجمعت خلف الوفد بمجرد وجودها وإحساسها القومي المرهف بأنه أفضل من الآخرين، لكنه وعلى أية حال لم يكن – وخاصة في أواخر أيامه – الحل الأمثل في نظر الجماهير. ولقد ظل الوفد منبراً للعمل الأكثر تشدداً – نسبياً – ضد الاحتلال وضد السراي، وقد أكسبه ذلك جماهيرية لم يحظ بها حزب سياسي في مصر ... لكن الجماهير التي منحت حبّها للوفد صدمت عشرات المرات، فعتاة الرجعيين استطاعوا أن يتسلّقوا إلى قمة الوفد، وكان هذا طبيعياً طالما أنه لا برنامج اجتماعي على الإطلاق، ولا حتى شعارات وأهداف متجددة متواكبة مع الأحداث ، وإنما مجرد شعارات عامة مبهمة مطاطة ... وهكذا وفي ظل هذه الخيمة الهائلة من الكلمات المطاطة ... تسلق الرجعيون ... إلى قمة الوفد وأفسدوا الكثير من سمعته ومن ميراثه النضالي ... كانوا في أغلب الأحيان، إما حكاماً»، واما في انتظار ان يصبحوا حكاماً، ساعين إلى الحكم أو ممتطين صهوته، ولا شيء غير ذلك ... كانت السياسة في مصر، وكما أسماها شعب مصر الذكي اللماح «بوليتيكا»

وهي عبارة مرادفة للنصب والاحتيال .. ولقد أدى ذلك كله بالضباط الشبان إلى نبذ الحزبية، وإلى معاداتها، وإلى التمسك بفكرة أن يحكموا منفردين. وقد مكنهم ذلك كله أيضاً من أن يشنوا حملات ناجحة بالفعل ضد الحزبية والفساد الذي صاحبها، وضد ساستها وقادتها، وكان ذلك كله تمهيداً لاستئثارهم بالسلطة» [١].

وبالفعل، فإن القطيعة قد بدأت تتحقق عملياً بين مؤسسات الفكر الناصري، بعد الثورة، وبين الأحزاب المصرية.بعد نجاح الثورة أتيحت الفرصة لهذه الأحزاب لإصلاح نفسها ذاتياً، لكن ذلك لم يتحقق لأسباب معروفة، أهمها أن أفكار التنظيمات السياسية لا يمكن لها أن تتغير بقرارات رسمية، ثم إن الفرصة التي أتيحت للأحزاب تلك كانت في واقع الأمر، فرصة شكلية وفي الحقيقة كان هناك تقاطع بين هذه الأحزاب وبين قيادة الثورة، خصوصاً على صعيد الفكر السياسي والاجتماعي، الأمر الذي تجسد بوضوح عند إقرار قانون الإصلاح الزراعي الأول، وتحديد الملكية بمائتي فدان فقط،ومعارضة الأحزاب ذلك [٢] .

لكن العنصر الأكثر فاعلية في هذا المضمار كان نابعاً في الأساس من العقلية العسكرية لقادة الثورة، تلك العقلية التي تتطلب الانضباط الصارم، وعدم المعارضة، والانضواء التام تساوقاً مع ذلك استقر الرأي على إلغاء الأحزاب السياسية، وتحريمها مستقبلاً. ففي السابع عشر من كانون الثاني / يناير ١٩٥٣ أعلن القائد العام للقوات المسلحة، بصفته المتحدث باسم الثورة، حل جميع الأحزاب السياسية، ومصادرة أموالها لصالح الشعب. وفي اليوم التالي، أي في الثامن عشر من كانون الثاني/ يناير في العام نفسه صدر مرسوم بقانون يحظر على قادة الأحزاب السياسية المنحلة، والمنتمين إليها القيام بأي نشاط حزبي على أي صورة كانت [٣].

كان لا بد من ملء الفراغ السياسي الفكري الذي حدث على الساحة المصرية نتيجة هذه التطورات، وغيرها من التطورات بعد نجاح الثورة التي أفرزت، بحكم الواقع، حاجات ومتطلبات جديدة، ووفرت مستلزمات تحقيق ذلك، وكانت هذه الأخيرة من نمط يختلف كلياً عما كان سائداً في مصر ما قبل الثورة.

---

[١] محمد فريد شهدي تأملات ... في الناصرية المفكر العربي (بيروت: دار الطليعة، (١٩٧٣)، ص ٩٦ - ٩٧ و٩٩.

[٢] سليمان محمد الطماوي، ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بين ثورات العالم (القاهرة:) دار الفكر العربي، ١٩٦٤، ص ٩٧ ، وأحمد كمال أحمد الناصرية والعالم الثالث (بيروت: دار الرقي، (١٩٨٦)،ص ١٥١.

[٣] جمال الشرقاوي، فكر جمال عبد الناصر والميثاق الوطني في مؤسسة الأبحاث العلمية العربية العليا، الموسوعة الناصرية: نضال عبد الناصر (بيروت: دار الحكيم، (١٩٧٣)، القسم ١،ص ١١١-١١٤

١- صيغة هيئة التحرير

كانت الصيغة الأولى للتشكيلات السياسية التي ارتضت قيادة الثورة اعتمادها، لاستقطاب الجماهير وتأمين الدعم الشعبي المستمر للثورة، هي صيغة «هيئة التحرير» التي أدى أنور السادات دوراً كبيراً في إقناع عبد الناصر بإنشائها، بديلاً من الأحزاب القديمة، وقدوة ونموذجاً. وكان السادات قد اضطلع بمهمة إنشاء تشكيل شعبي مؤيد لمنظمة «الضباط الأحرار» قبل الثورة. إن صيغة هيئة التحرير»، كتنظيم سياسي، أقرب إلى صيغة هيئة التحرير القومي الفرنسية، التي تكونت حول الجنرال ديغول، باعتبارها تنظيماً سياسياً تشكل حول شخص واحد قائداً أو زعيماً [١].

وعلى أية حال، فإن هيئة التحرير كانت أول تنظيم سياسي شعبي عكس فكر عبد الناصر السياسي في تلك المرحلة المبكرة من عهد ما بعد الثورة. وكان المقصود من إنشائه دعم الثورة، وملء الفراغ السياسي بعد تعطيل الأحزاب. وتوصف هيئة التحرير بأنها ليست حزباً يستهدف الحكم، بل هي برنامج لتنظيم قوى الشعب وإعادة بناء مجتمعه على أسس جديدة، وقد شبه ناصر هذه الهيئة بالمدرسة التي يمارس الشعب فيها ويتعلم كيفية انتخاب ممثليه [٢] . ومهما كان الأمر، فإن صيغة «هيئة التحرير كانت ضرورة مست الحاجة إليها في محاولة عبد الناصر إعادة صياغة وجدان الشعب المصري بعيداً عن الأحزاب. هكذا كان لسان حاله يقول في تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٥٢، تعبيراً عن شعوره بضرورة طرح صيغة تنظيمية تدعو الثورة والجماهير للالتزام بها بعد عجز الأحزاب عن التكيف مع الوضع الثوري الجديد [٣]. وتحددت أهداف هيئة التحرير في تعبئة الشعب تحت شعار «الاتحاد، النظام، العمل»، وحول النداء «كلنا هيئة تحرير»، وهي إشارة إلى أن هيئة التحرير هي تنظيم للشعب كله. وكان قد أذيع أول بيان حولها في ١٥ كانون الثاني / يناير ١٩٥٣، ثم أعلن عن تكوينها في ٢٣ كانون الثاني / يناير ١٩٥٣، وذلك بمناسبة الاحتفال بمرور ستة أشهر على قيام الثورة والملاحظ أن التصريح لهيئة التحرير التي أعلن عنها عبر بيانها الأول، كان قد تم قبل إلغاء الأحزاب السياسية بيوم واحد، وذلك بأمل أن تستقبل الهيئة جماهير هذه الأحزاب المعطلة [٤] .

---

[١] شهدي تأملات ... في الناصرية، ص ١٠٤.

[٢] علي الدين هلال، تطور الأيديولوجية الرسمية في مصر : الديمقراطية والاشتراكية، في : اسماعيل صبري عبد الله وآخرون، مصر من الثورة ... إلى الردة (بيروت: دار الطليعة، (١٩٨١)،ص ٤٠ - ٤١ .

[٣] الشرقاوي، فكر جمال عبد الناصر والميثاق، ص ١١٤.

[٤] جمال سليم، التنظيمات السرية لثورة ٢٣ يوليو في عهد جمال عبد الناصر (القاهرة: مكتبة مدبولي، (١٩٨٢) ، ص ٢٣ - ٢٥ ، وعبد المنعم شميس، الثورة العربية الكبرى ٢٣ يوليو (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، (١٩٦٣) ، ص ٨٩ - ٩٠.

وقد حدد إعلام الثورة، وقتها، الدوافع الأساسية لإنشاء هيئة التحرير» والاستعانة بها، وكانت تنحصر في تجميع القوى الشعبية جميعاً، باستثناء الاقطاعيين والقيادات الحزبية السابقة لهدف محدد هو طرد الاستعمار والتصدي لكل القوى المضادة للثورة [١] . واعتبر الفكر الناصري، وقتذاك، أن المنتمين إلى الفئات الوطنية التي تضمها هيئة التحرير هم أصحاب المصلحة الحقيقية في طرد الاستعمار. وبما أن فكر الثورة لم يتبلور حتى آنذاك في نظرية سياسية، أو يتجسد في شكل من أشكال التنظيم، وبناءً على الضرورة الماسة لتجميع القوى الشعبية المؤمنة بأهداف ثورة يوليو لمواجهة الاستعمار، وفق الرؤية العسكرية الفوقية المتحكمة، لذلك كله أعلن في الثالث والعشرين من كانون الثاني / يناير، أي بعد أسبوع من حل الأحزاب، ميثاق هيئة التحرير. وعلى العموم، فإن قيادة الهيئة خططت لحل الكثير من مشكلات الجماهير المنضوية في صفوفها، إضافة إلى الإيفاء بالمهمة الأساسية – التعبئة الوطنية وحشد الطاقات من أجل معركة الاستقلال بما في ذلك تدريب المواطنين على القتال وتوعيتهم [٢].

يتألف ميثاق هيئة التحرير من مذكرة تفسيرية حول تشكيل هذا التنظيم وخلاصة بأهدافه، وشعاره الاتحاد النظام العمل والأهداف الداخلية والخارجية . لقد عبر هذا التنظيم فكرياً، وقتذاك، عن طبيعة مرحلة التجمع الوطني. وكان هدفها الأول بالشكل الذي حدده ميثاقها، هو تحرير مصر كاملاً، وإجلاء قوات الاحتلال البريطانية، ومنح السودان حق تقرير مصيره. أما الأهداف الخارجية فقد عبّرت عن الموقف من الأمة العربية، ورؤية واضعي الميثاق تجاه جامعة الدول العربية، وعلاقة مصر بدول العالم وبميثاق الأمم المتحدة. لقد أفلحت الثورة في معالجة المشكلة الأهم. القضاء على الاحتلال والسيطرة البريطانية، والتخلص من ثمانين ألف بريطاني، وتأمين الاستقلال السياسي كاملا [٣].

لقد استطاع عبد الناصر، انطلاقاً من رؤيته الفكرية لميثاق هيئة التحرير وأنشطتها، تحقيق بعض ما حلم به جيله جيل ما بعد ثورة ١٩١٩، ولا سيما الاستقلال.

---

[١] عبد الله إمام الناصرية : دراسة بالوثائق في الفكر الناصري تقديم ضياء الدين داوود القاهرة: دار الشعب (١٩٧١)، ص ١٨٢ - ١٨٣.
[٢] أسعد عبد الرحمن الناصرية: ثورة بيروقراطية أم بيروقراطية ثورية الكويت: مطبوعات جامعة الكويت (١٩٧٧)، ص ٣٩.
[٣] حسن الفكهاني، موسوعة جمال عبد الناصر: مصر الثورة من الزعيم الخالد إلى خليفته الثائر (القاهرة: الدار العربية للموسوعات (١٩٧٢)، ج ١، ص ٢٢ - ٢٣ ؛ شميس، الثورة العربية الكبرى ٢٣ يوليو، ص ٩٠ - ٩١ ، وعبد الله بلال تأملات في الناصرية : ثورة إنسانية خالدة (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، (١٩٧١)، ص ٧٩ - ٩٠

٢- الاتحاد القومي

كانت التجربة الثانية التي مارسها الفكر الناصري في تشكيل التنظيمات السياسية الداعمة له هي تجربة تشكيل «الاتحاد القومي، وتعتبر هذه المرحلة مرحلة تأكيد الاستقلال، بمعنى إكمال الاستقلال السياسي بالاستقلال الاقتصادي، ففيها تم تأميم قناة السويس، وكان ذلك نقطة تحول في تاريخ مصر، وخطوة إيجابية، دون شك على طريق القضاء على الاستغلال والاحتكار الامبريالي وسيطرة رأس المال الأجنبي. وفيها، كذلك، تمت تصفية العدوان الثلاثي الانكليزي – الفرنسي – الصهيوني) على مصر، واجتثاث آثاره وتحرير بورسعيد عام ١٩٥٦ [١] .

واتسمت هذه المرحلة بالسعي الحثيث لبناء مجتمع جديد، واقتصاد جديد قائم على التصنيع، وللقضاء على التخلف والتبعية التي عاناها الشعب المصري أمداً طويلاً، من خلال تصفية الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ومجموع العلاقات الاقتصادية الخارجية التي تشكل قاعدة التبعية الاقتصادية والتخلف الاجتماعي. كما اتسمت هذه المرحلة بالسعي لفرض سيطرة الشعب على المصالح والاحتكارات الأجنبية في مصر وتأميمها. وقد أكدت كل هذه الانجازات صدقية المبدأ الرابع من المبادىء الستة للثورة، وهو المتعلق بما يسميه البعض تجوزاً بالاتجاه الاشتراكي، والمقصود به إقامة شيء من العدالة الاجتماعية، إذ لم تكن الاشتراكية مطروحة أمام قيادة الثورة. وكانت الوسيلة إلى هذه العدالة الاجتماعية هي تنمية اقتصاد وطني قوي يكون لكل مواطن فيه نصيب عادل، ويكون أساسه العمل على تقليل حدة الفوارق، واقتران التنمية بعدالة التوزيع. وكان لا بد لكل ذلك من أن يسفر عن انتشار المد التحرري القومي في الوطن العربي، وبخاصة بعد إحباط العدوان الثلاثي على مصر، الأمر الذي أدى بالضرورة إلى ارتقاء حركة التحرر العربية إلى مواقع أكثر تقدماً، وهي مواقع يصفها بعض الباحثين بأنها تجمع بين تصفية الاستعمار والعداء لرأس المال، وتلكم أمور كان للفكر الناصري في مرحلته الجديدة هذه فضل بلورتها ونشرها، ولا سيما بعد تأميم القناة، ومجابهة العدوان الثلاثي[٢].

---

[١] أحمد حمروش، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، ٥ ج (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٤ - ١٩٧٨)، ج ٢: مجتمع جمال عبد الناصر، ص ٢٨٢؛ شميس، المصدر نفسه، ص ٩٠ - ٩١؛ إمام الناصرية : دراسة بالوثائق في الفكر الناصري، ص ٣٩١ ، ومحمد عبد الحكيم دياب الثورة العربية المعاصرة: الأبعاد الفكرية والتنظيمية (بيروت: دار المسيرة (١٩٧٨)، ص ٢٧٤ - ٢٧٧

[٢] شميس، المصدر نفسه، ص ٩٠ - ٩١ ؛ دياب المصدر نفسه، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.

وجدت قيادة ثورة ٢٣ يوليو الحاجة ماسة إلى تنظيم سياسي – شعبي جديد، في صورة تحالف جديد يضم فئات الشعب الوطنية هو الاتحاد القومي الذي كان مطلوباً منه في رؤية ناصر الفكرية السياسية أن يكون الأداة الشعبية الجماهيرية الفعالة في تعجيل عملية التغيير الثوري وبناء المجتمع الجديد [١]. فيكون الثامن والعشرون من أيار / مايو سنة ١٩٥٧، اليوم الذي أعلن فيه قرار تشكيل «الاتحاد القومي»، بداية المرحلة الثانية من مراحل التنظيم وفق تصور الفكر الناصري. وكان «الاتحاد القومي» كما أريد منه انعكاساً لتجمع ونشاط القوى الاجتماعية والاقتصادية، على النحو الممكن في ظروف وقتذاك، وكالتالي:

أ – **المهنيون والمثقفون:** الذين لا يمكن الاستغناء عن خبرتهم وجهودهم، فقد ارتبطت مصالحهم بشكل مباشر بخطط التنمية والتصنيع، فالتنمية ستتيح مجالات جديدة للعمل والقضاء على البطالة الحقيقية، الأمر الذي سيؤدي بالضرورة، إلى رفع مستواهم المادي والاجتماعي [٢] .

ب – **العمال وتتوزع قوة عملهم في القطاع الصناعي:** الغزل والنسيج، ووحدات الانتاج الحرفي والصناعات الاستهلاكية، وقطاع الخدمات. والعمال هم أصحاب المصلحة الحقيقية في التصنيع الجديد، وتطوير الصناعة القديمة. وقد اتخذت قيادة الثورة وقتذاك اجراءاتها التي استهدفت معالجة مشاكل العمال، وأصدرت قوانين التمصير المختلفة بما يعزز الاتجاه في خلق اقتصاد مصري متين، كما أصدرت قوانين العمل بما يدعم حقوق العمال في المشاريع الصناعية.

ج – الفلاحون: وقفت الثورة في جانب الفلاحين المصريين الذين كانوا يشكلون الغالبية العظمى من السكان، ويعيشون في مستوى اقتصادي – معاشي بالغ التدني في ظل الإقطاع العريق المستبد. وكان تعبير الثورة عن نصرتها للفلاحين هو إصدار قوانين الإصلاح الزراعي، والتي استهدفت القضاء على الهيمنة الإقطاعية، وتحرير الفلاح وحددت أجور العمال الزراعيين للمرة الأولى في تاريخهم، وواجهت مشكلة المستأجر الزراعي بتحديد القيمة الإيجارية له، وأصبح آلاف الفلاحين، بالتالي، ملاكاً للأرض التي يعملون فيها [٣] .

---

[١] محمد السيد سليم التحليل السياسي الناصري : دراسة في العقائد والسياسة الخارجية، سلسلة أطروحات الدكتوراه ٣ بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، (١٩٨٣)، ص ٨٣.

[٢] عبد الله إمام الناصرية وتحديات العصر القاهرة: مؤسسة روز اليوسف، (١٩٨٨)، ص ٨ -١٣.

[٣] إمام الناصرية : دراسة بالوثائق في الفكر الناصري، ص ٣٩١ - ٣٩٣؛ جمال سليم، الناصرية الجديدة وتحديات العصر (القاهرة: المطبعة الفنية، (١٩٧٧) ، ص ٨ - ١٠.

د – الرأسمالية المصرية: لم يكن التعامل مع أبناء هذه الشريحة الاجتماعية المهمة أمراً سهلاً، خصوصاً ان القرارات الفكرية العامة والخاصة لقادة العالم الثالث، ومنهم جمال عبد الناصر، لم تكن لتسمح لهم على الأقل في البداية، الوقوف على دقائق أساليب عملهم الذكية المتأتية من وعيهم، وخبراتهم المتراكمة بحكم موقعهم الاجتماعي. فبدءاً ينبغي علينا أن نأخذ في الاعتبار أن البرجوازية المصرية تسيدت الموقف في معظم الأحيان لعوامل موضوعية وذاتية في ظل مجتمع مثل المجتمع المصري الذي عاش قبل الثورة استقطاباً واضحاً أفرز شرائح ذات مصالح متناقضة بينة، وحيث تعودت فئات البرجوازية الوسطى أن ترتدي المسوح التي يريدها الحكام أي حكام، وتستطيع أن تتأقلم وتتلون سريعاً بحيث تصبح أكثر مرونة من النظام ذاته، وأكثر مبادرة منه، وأكثر قدرة على الحركة، وهي استمرت على هذا المنوال بعد الثورة أيضاً كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً[1].

ومهما يكن من أمر لم يتخذ قادة الثورة، والرؤية الفكرية الناصرية في تلك المرحلة بالذات، موقفاً مضاداً ضد أي شريحة من شرائح البرجوازية، بما في ذلك الرأسمالية المصرية التي أفادت فعلاً من قرارات التمصير. ومنذ البداية كانت البرجوازية المصرية تريد أن تستحوذ على كل شيء، فقد زحف ممثلوها بقوة وسرعة، للاستئثار بالمراكز القيادية والهامة في الاتحاد القومي والمجتمع عموماً.

التقت كل هذه الفئات في المرحلة الثانية من مراحل التنظيم الناصري اذا جاز التعبير، فطبيعة المرحلة، وحدود الرؤية الفكرية – السياسية الناصرية فرضت آنذاك إيجاد مثل هذا التنظيم السياسي والتجمع القومي. ويمكن اعتبار هذه المرحلة التي مر بها الفكر الناصري بالنسبة للتنظيم السياسي مرحلة تجمع القوى الوطنية، أساسها أن التناقضات بينها ليست عدائية، فالتناقض العدائي الأساس هو بينها وبين الاستعمار، وتبريرها – الأخذ بصفة التحالف بين قوى الشعب العاملة بديلاً من الحزب الواحد، وكانت هذه الصيغة في الحقيقة، الصيغة الأكثر انسجاماً مع خصوصية التجربة الناصرية، والفكر الناصري آنذاك [2] .

تنبغي الإشارة، في معرض بحث وتأريخ خلفيات تشكيل «الاتحاد القومي» الناصري، إلى أن ظهور هذا التشكيل لم يأت عبثاً، ولم يبدأ من الصفر. ففي السادس عشر من كانون الثاني / يناير ١٩٥٦، أعلن الرئيس

---

[1] شهدي تأملات ... في الناصرية، ص ١١١ - ١١٣؛ أنيس صايغ، في مفهوم الزعامة السياسية من فيصل الأول إلى جمال عبد الناصر (بيروت: جريدة المحرر، ١٩٦٥) ، ص ١٧٦ ، وعبد العزيز رفاعي القومية العربية وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كتب قومية؛ ٣٣٨ (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦) ، ص ٨٥.

[2] إمام، الناصرية وتحديات العصر، ص ٩ - ١٣

جمال عبد الناصر نهاية المرحلة الانتقالية، وطرح للاستفتاء الدستور الجديد الذي حرّم إنشاء الأحزاب السياسية، ونص على تشكيل الاتحاد القومي بمثابة إطار وطني يضم جميع القوى الشعبية التي أسلفنا الإشارة إليها، باستثناء العناصر التي تثبت خيانتها للشعب. فقد تضمنت المادة ١٩٢ من الدستور، الذي يترجم، دون شك، رؤية ناصر الفكرية السياسية على أن يكون المواطنون اتحاداً قومياً للعمل على تحقيق الأهداف التي قامت من أجلها الثورة، ولحث الجهود ولبناء الأمة بناء سليماً من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية [١].

وتقوم فلسفة الاتحاد القومي في منظور الرئيس جمال عبد الناصر على ركيزتين : الأولى : تتمثل في مفهوم الاتحاد للوحدة الوطنية، باعتباره إطاراً لصيانة الوحدة الوطنية والقومية بطريقة تتناسب مع طبيعة المجتمع وخصوصيته، مع استبعاد الأخذ بتجربة الحزب الواحد أو تجربة تعدد الأحزاب، لكي يمكن تفادي عيوب التجربتين وفق قناعته، حيث يقول : من هذه التجربة في حياتنا وفي المعارك التي قابلناها كان نظام الحزب الواحد لا يتناسب لأنه عبارة عن احتكار السياسة، ولأن نظام الأحزاب المتعددة لا يناسبنا لأنه سيكون وسيلة في الوقت الحاضر إلى داخل بلدنا ليهدم هذه القاعدة التي بنيناها، والتي نعبى عليها الشعب، وكان لا بد أن ندخل التجربة الجديدة – تجربة تقينا عيوب الحزب الواحد، وتقينا في نفس الوقت من عيوب تعدد الأحزاب، تجربة عبارة عن نظام يشترك فيه جميع أبناء الوطن، بحيث لا نعطي الفرصة للتسلل، وبحيث نحافظ على وحدتنا، ولا نمكن الأجنبي من أن يفرق ويعمل على ضمنا داخل مناطق النفوذ، وكانت هذه التجربة هي الاتحاد القومي) وتواصلاً مع الفكرة ذاتها يقول في الخطاب نفسه : ان الاتحاد القومي هو إطار يصون الوحدة الوطنية. إن مجرد قيامه لا يحل المتناقضات في مجتمعنا، إنه لا يمنع تصادم المصالح ولا تعارض الآراء، إنما هو مجرد إطار من الوحدة القومية يسمح للمتناقضات أن توازن نفسها، ويسمح للمصالح المتصادمة والآراء المتعارضة أن تجد نقطة لقاء بينها في حماية الوحدة الوطنية بطريقة تتلاءم مع طبيعة شعبنا ... ولقد كان إيماننا أنه يمكن في إطار الوحدة الوطنية أن تتفاعل الطبقات بما يقرب بينها، وأن يقل التناقض بطريقة سليمة لا مصادرة فيها، ولا سفك دماء، أن يتم الاتجاه إلى الاستقرار الوطني القائم على العدل الاجتماعي [٢].

---

[١] هلال، تطور الايديولوجية الرسمية في مصر : الديمقراطية والاشتراكية ، ص ٤١، وسليم، التنظيمات السرية لثورة ٢٣ يوليو في عهد جمال عبد الناصر، ص ٢٧ - ٢٩.

[٢] من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٧ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٩، في الأهرام .٢٨/١١/١٩٥٩

وفي منظور عبد الناصر الفكري، فإن هذا الاتحاد انما هو أداة لإقامة المجتمع المنشود، بالحد من الخلافات الطبقية والفئوية وتقليصها إلى أقل درجة ممكنة، والتأكيد على أهمية مشاعر التضامن والوحدة بين المواطنين. وقد أكد عبد الناصر باستمرار على شمولية تجربة الاتحاد، وقوميتها، وتجاوزها الحدود القطرية لتحقيق اتفاق قومي عام فالمصريون يقولون – على حد تعبير الرئيس جمال عبد الناصر: «كلنا نعمل من أجل هذا الوطن.

ومن خلال كل ما تقدم، يتضح أن الاتحاد القومي تنظيم سياسي جماهيري عام، أنشأته السلطة الناصرية بهدف تحقيق الوحدة الوطنية والإسهام في تحقيق الوحدة العربية، وهو تنظيم اعتقد عبد الناصر أنه يوفر الإطار والمجال المناسبين للأمن القومي [١].

وعلى صعيد آخر، يتضح من خلال تصريحات عبد الناصر العديدة بخصوص مديات حزبية هذا الاتحاد، انه انما أوجد لغرض تعبئة الشعب، والإسهام في تحقيق أهداف الثورة، وتدريب القيادات على المستويات المختلفة لدراسة المشاكل المحلية وحلها، وانه لن يكون حزباً لطبقة ما أو جماعة ما [٢] .

وفي ضوء مغالاة عبد الناصر في التهوين من الأحزاب والحزبية ومعاداتها، فإنه كان يعتقد أن هذا الاتحاد القومي يمكن أن يكون تنظيم الشعب بأسره، وهو الذي سيعيد صياغة وجدان الجماهير، خلفاً لهيئة التحرير، وتجنباً للأحزاب والحزبية، فقد قال، ذات مرة : لا أريد أن تتمزق وحدة وطننا من أجل مصلحة هذا البلد الأجنبي أو ذاك، وانما أريد صيانة وحدة هذا البلد حتى تثبت الفكرة الوطنية المنبثقة من أعماقه وتترسخ [٣].

والحق أن رؤية عبد الناصر الفكرية بخصوص التنظيمات السياسية التي أنشأها في عهده هيئة التحرير، والاتحاد القومي) ثم (الاتحاد الاشتراكي، والتنظيم الطليعي)، تكشف موقفه تجاه الحزبية والتعددية والرأي الآخر. ان شخصية عبد الناصر الوطنية والقومية الثورية شخصية عملاقة، وقد أدى الرجل دوره الكبير في إنجاح ودعم حركات التحرر القومي العربي، ومشاريع الوحدة العربية، والوحدة الافريقية، وحركة عدم الانحياز ومؤتمر باندونغ والحركات التحررية في العالم الثالث، ودعم السلام العالمي. لكن هذا لا ينفي أن تكون له ولفكره

---

[1] Richard Hrair Dekmejian, Egypt under Nasir: A Study in Political Dynamics (٢٩) (Albany, NY: State University of New York Press, (1971), pp. 51-52.

[٢] خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة الذكرى السابعة لقيام الثورة في ٢٣ تموز / يوليو ١٩٥٩ ، في: الأهرام، ٢٤/٧/١٩٥٩.

[٣] مقابلة مع الرئيس عبد الناصر أجراها مندوبو التلفزيون الأمريكي بتاريخ ٧ نيسان / ابريل ١٩٥٨، في : الأهرام، ٨/٤/١٩٥٨.

قصورات، أو ثغرات، أو خلل ما في الرؤية الفكرية وإطارها السياسي. فحتى محمد حسنين هيكل يعترف بموضوعية فيقول ... صحيح أن عبد الناصر بقوته وهيبته فرض آراءه في البداية بحيث إن قضايا كثيرة لم تناقش بالقدر الكافي، لكن ذلك لا يعني التجريح به ولا بأس من المناقشة ... أجل، بقي من عبد الناصر فكر وانجازات وأخطاء ... [١] كما قال، وللقول دلالته البالغة : ان جمال عبد الناصر له أخطاؤه، ومن يقول أن لا أخطاء لعبد الناصر يكون متجنياً على الانسانية. عبد الناصر له أخطاء سياسية كبيرة أو صغيرة [٢] .

ومع أن هيكل يحاول ما وسعه تبرير موقف عبد الناصر تجاه الحزبية والأحزاب، الا إنه لا يفلح في إقناع المتلقي. فهو يضرب الأمثلة بأحزاب الأقلية المتواطئة مع الاستعمار والسراي في مصر، وهو يؤكد أنه كانت لعبد الناصر القدرة على تعبئة الجماهير بالإنجازات» [٣]. وكل ذلك لا يمكن أن يقنع أحداً بالاستغناء عن الحياة الحزبية، بمعارضتها بالانجازات فقط !! يقول محمد فريد شهدي في ملاحظة دقيقة له أبداها بهذا الصدد: لقد صورت فكرة الحزبية وكأنها فكرة برجوازية لا تليق بمقام البناء الاشتراكي ... والأخطر من ذلك أن كتابات منظري الثورة قد اتخذت اتجاهاً منافياً للواقع التاريخي، محاولة أن تلوي عنق التاريخ لتبرهن على أن مصر قد لفظت دوما الحزبية، وان كفاح مصر لم يكن أبداً إلا من خلال تنظيم واحد للأمة كلها . . .» [٤].

فرض هذا التوجه الفكري غير الواقعي على الساحة المصرية في تلك المرحلة. ففي كتيب بعنوان نظرة تاريخية إلى تطور التنظيم السياسي في الجمهورية العربية المتحدة بعد ثورة عام ١٩٥٢ يقول الكاتب: ومن هنا يمكن القول بأنه استناداً إلى الظروف التاريخية لمجتمعنا فإن الحزب الواحد كان هو التعبير الطبيعي الذي يجسد وحدة الجماهير، ووحدة آمالها وأهدافها، وأن تعدد الأحزاب ليس إلا انعكاساً للانقسام بين المصالح الطبقية. ولذلك فإن التنظيم السياسي الواحد هو في الحقيقة عودة إلى الوضع الطبيعي الذي يعكس وحدة القوى الوطنية ووحدة اتجاهها في طريق التطور بعد أن سقطت الطبقات المستغلة المتحالفة[٥].

---

[١] فؤاد مطر، بصراحة عن عبد الناصر : حوار على مدى ٢٠ ساعة مع محمد حسنين هيكل بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩، ص ٢٠٥
[٢] المصدر نفسه، ص ٢٠٧
[٣] المصدر نفسه، ص ٤٦ و ١٠٤.
[٤] شهدي، تأملات ... في الناصرية، ص ١٠٩.
[٥] المصدر نفسه، ص ١٠٩ - ١١٠.

المبحث الثالث

السياسة الخارجية المصرية في عهد الرئيس جمال عبد الناصر (١٩٥٢م-١٩٧٠م)

كانت مصر تحت حكم الملك فاروق حتى مطلع الخمسينيات من القرن الماضي ، لكن في عام ١٩٥١م ، تورط الملك في سلسلة من الفضائح خصوصاً ، ورد اسمه في تحقيقات مشتريات مشبوهة للجيش المصري في حرب ١٩٤٨م مع (أسرائيل) ، إذ أن هزيمة مصر في هذه الحرب أغضب مجموعة كبيرة من الضباط الصغار في الجيش المصري ممن شعروا إن ملكهم قد خذلهم بأرسالهم إلى حرب أسيئ التحضير لها وتزويدهم بالأسلحة غير المناسبة ، كما إن حياة البذخ والرفاهية التي كان يعيشها الملك فاروق شكلت وليمة لصحف الفضائح المحلية والعالمية [١].

وفي كانون الثاني / يناير / ١٩٥٢ م ونتيجة ردات فعل متسلسلة من الاستفزازات والمواجهات بين الجيش البريطاني والشرطة المصرية وحرس القصر ، تدهور الوضع وحدثت أعمال شغب في عدد من أحياء القاهرة ، إلى فوضى وصخب ، وسار آلاف المحتجين إلى وسط القاهرة وأقتحموا المتاجر ودور السينما والفنادق والمطاعم واشعلوا النار في الهشيم حتى دار الأوبرا الوطنية التي لم تسلم من الخراب ، وأمتدت أعمال الشغب إلى منطقة الأسماعيلة وقد أوقعت هذه الأحداث العشرات من الضحايا [٢].

وظهر في تلك المدة ما عرف بتنظيم الضباط الأحرار (بزعامة اللواء محمد نجيب وجمال عبد الناصر وأنور السادات الذين قاموا في ٢٣ تموز / يوليو ١٩٥٢ م ، ثورة على الملك فاروق وأجباره على التنازل عن عرشه وتم نفيه إلى إيطاليا ، وتم ألغاء الحكم الملكي وأعلنت الجمهورية المصرية في ١٨ حزيران يونيو عام ١٩٥٣م ، ومن ذلك التأريخ سطع نجم الضابط جمال عبد الناصر [٣] . كان عبد الناصر ثورياً بالفعل ، بحركة تصميم مطلق على تغير المجتمع وهذا ما يوحي بأنه كان يحمل منذ شبابه مشاعر العداء للاستعمار وارتباطه بالغرب ، إلا إننا نجد أن توجهاته الأولى كانت تتجه إلى تلبية مطلبين رئيسيين للعهد الثوري الجديد وهو التوجه

---

(١) طارق عثمان ، مصر على شفير الهاوية ، ط١ ، بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، ٢٠١٢م ، ص ٦٤ - ٦٥.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٥
(٣) فواز جرجيس ، النظام الأقليمي العربي والقوى الكبرى دراسة في العلاقات العربية - العربية والعربية الدولية ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٧. ص ٤١ - ٤٢.

نحو الولايات المتحدة الأمريكية والغرب ، فقد كانت من المهام الأولى على أعمال النظام الجديد : التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد [1] أتصف مشروع عبد الناصر التنموي بأنه ذو توجه عملي حيوي ، ففي السنوات القليلة التي أعقبت ثورة ١٩٥٢م الذي وضع حداً للنظام الملكي ، أصلح الرئيس عبد الناصر النظام السياسي المصري برمته ، وهمش الطبقة السياسية التي حكمت مصر لأكثر من نصف قرن ، وأستبدل الأرستقراطية ذات الهيمنة التركية بمصريين عاديين مثلوا نظرياً ، أرادة الجماهير وتطلعاتها ، وأضعف الأحزاب السياسية ، وحاكم وفي الكثير من الحالات سجن معظم ساسة (العهد البائد) الرئيسين ، وإنشأ نظاماً دستورياً جديداً ؛ وأقام نظاماً جديداً يعتمد على رئاسة قوية تدعمها حكومة تنفيذية تستمد شرعيتها من موافقة الشعب (ولو من دون قنوات إنتخابية رسمية) ، إنتهى الاختبار الليبرالي السياسي الذي أستمر في البلاد من العشرينيات إلى الأربعينيات وقد قاده اصحاب الأراضي والرأسماليون المتأثرون بأوربا والمتوجهون بتوجهاتها ، ومعهم الكتاب والأساتذة والمحامون) ، ليستبدل بعقيدة أشتراكية وشعوبية ألا شمل في تأريخ مصر منذ حملة نابليون في نهاية القرن التاسع عشر .

أرتكز التحول الاقتصادي الناصري على ركيزين : الأولى هي التصحيح الكبير لعدم المساواة الكبيرة في ملكية الأراضي ، وهذا الأصلاح الزراعي ليس بنات أفكار الرئيس عبد الناصر ، فقد سبق في ذلك ، أكرم عبيد باشا إن قدم للحكومة في أيلول / سبتمبر عام ١٩٤٥م مشروع قانون شاملاً يهدف إلى زيادة نسبة الأراضي الخصبة التي يملكها صغار الملاك ، الذين حددهم بإنهم أولئك الذين يملكون أقل من خمسين فداناً ، كما إن أبراهيم شكري ، سليل أسرة كبيرة من الملاكيين ولاحقاً رئيس حزب العمال المصري شكل صوتاً برلمانياً عالياً في الأربعينيات منادياً بسلسلة من الأقتراحات الهادفة إلى أصلاح هيكلية ملكية الأراضي المنحرفة في شكل كبير في مصر .

واحدثت سياسة عبد الناصر في هذا المجال تأثيرات كبرى أضافة إلى أثباتها بإنها ضربة معلم في السياسة الشعوبية ، وطبق الأصلاح الزراعي عبر فرض حداً لما تملكه عائلة واحدة يبلغ مئة فدان ، وإنهاء ملكية الغاب ؛ ووضع حد أقصى لأيجاد الأراضي المعارة ؛ ودعم الحقوق القانونية للفلاحين ، وفي أجراء حاسم ، مصادره مئات الألاف الفدادين الخصبة من كبار الملاكين وتوزيعها على ملايين الفلاحين الذين لا يملكون أراضاً ،

[1] طارق عثمان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٢ وما بعدها

أما الركيزة الثانية : لثورة عبد الناصر الاقتصادية ، هي القطاع العام ، فقد سبق في الواقع لهذه الطبقة الجديدة من المصانع التي تملكها الدولة والشركات والمؤسسات التي إنشأت في أواخر الخمسينات ومطالع الستينات من مداخل تأميم الأعمال المصرية الكبرى كافة تقريباً ، والفلسفة من وراء ذلك مشابهة هي الأخرى لما سبق : أعادة صوغ هيكيلية الثروة الملكية من طبقة رأسمالية ضيقة في أعلى قمة الهرم الاقتصادي – الاجتماعي في البلاد إلى ملايين الموظفين العاديين والفلاحين الفقراء والعمال المكافحين وبناء جيش قوي وقد تبلور الهدف الأول في مشروع السد العالي ، وجاءت الغارة الأسرائيلية ، على غزة عام ١٩٥٥، ، لكي تفصح عن إنكشاف الجيش المصري ، ولكي تؤكد الهدف الثاني وتزيده ألحاحاً .

وحول هذان الهدفان الرئيسان ، قوبلت التوقعات من الولايات المتحدة الأمريكية والغرب بالأحباط بل وبالرفض ، فبعد مفاوضات طويلة سحب البنك الدولي والولايات المتحدة الأمريكية عرضهما لتمويل السد العالي ، ومن ناحية عاد الوفد المصري الذي توجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية للتفاوض حول المطالب العسكرية خالي الوفاض.

في ضوء ذلك والشعور بالمهانة ، وبصورة النظام الثوري الجديد التي أصبحت مهددة تحول جمال عبد الناصر إلى الأتحاد السوفيتي لتحقيق هدفيه الرئيسين ، وقد كان هذا التحول في السياسة الخارجية سوف يأتي بنتائج بعيدة المدى ، ليس فقط بالنسبة لسياسة مصر الخارجية وتوجهاتها وارتباطاتها الأقليمية والدولية المستقبلية ، ولكن أيضاً بالنسبة لمجرى الأحداث في الشرق الأوسط كله وما دمنا نعطي قدراً من الأعتبار لتأثير شخصية الزعيم على صياغة السياسة الخارجية لمصر [١]، فإن تأثير خصائص شخصية عبد الناصر يمكن فهمها من ملاحظات زملائه المصريين ، مثلماً لاحظ أنور السادات فجنباً إلى جنب مع خجله وهدوئه ، فإنه يمثل شخصية الصعيدي ، لقد كان رقيقاً ومنطقياً ومليئاً بالمشاعر ولكنه سرعان ما يتحول إلى رجل غاضب في اللحظة التي يشعر فيها أن أي فرد يفكر في أهانته أو ايذائه [٢]. وزاد قرب الرئيس عبد الناصر من الاتحاد السوفيتي في مفهوم الولايات المتحدة الامريكية للتهديد الناصري ، فقد وصف بريماكوف الذي تولى عدد من المواقع العليا

[١] د. عصام الدسوقي ، كبار ملاك الأراضي الزراعية في مصر ودورهم في المجتمع المصري ١٩١٤ - ١٩٥٢ م ، (القاهرة : دار الشروق ، ٢٠٠٧م) ص ٣٣٦ .
[٢] طارق عثمان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٥ .

في جهاز الاستخبارات الخارجية الروسية ، وأصبح رئيساً لوزراء روسيا من عام ١٩٩٨ – ١٩٩٩ ، عبد الناصر ليس بالصديق وحسب ولكن هذا هو المهم ، كظاهرة عبقرية نادرة في العالم العربي) [١]

وهكذا نستطيع أن نفهم بشكل أدق معاني ومتضمنات تقارب مصر مع الأتحاد السوفيتي مع منتصف الخمسينات في سياق تصاعد الحرب الباردة الذي كان من أبرز علاماته صفقة الأسلحة المصرية التشيكية عام ١٩٥٥م [٢] ، وأصبحت مصر في عام ١٩٥٥ ، أول دولة من خارج الكتلة السوفيتية تشتري أسلحة من السوفيت وأستخدام الخبراء السوفيت سواء العسكريين منهم أو الفنين لبناء (السد العالي) يعد السد العالي الذي بني ما بين عام ١٩٥٥م و ١٩٧٠م ، الإنجاز المصري الرئيس في الهندسة المعاصرة ، وكان النيل قبل بنائه ، يفيض في الوادي في كل سنة ، وباشرت مصر بعد بنائه في أدارة منسوب مياه النيل ومخزونها ، ويبلغ طول السد نحو ٤ كلم ، وعرضه ١ كم عند قاعدته و ٤٠ م ، عند قمته وأرتفاعه (١١١) متراً ، وهو يضم أكثر من (٤٠) مليون متر مكعب من الماء ، ويستوعب (١٠) الأف متر مكعب في الثانية في فصل الشتاء ، أضافة إلى أمتلاكه ثلاثة خزانات أضافية أكبرها بحيرة ناصر ، وتزايد الأهمية الأستراتيجية والأيديولوجية للشرق الأوسط في الأطار الأوسع للمراجعة التي كانت قد تبلورت بين الشرق والغرب ؛ في هذا الصدد فإن توقعات الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين للحصول على مباركة عبد الناصر لترتيبات الدفاع الأقليمي في الشرق الأوسط ، كانت تشكل جزءاً من سياسة احتواء الأتحاد السوفيتي العالمية ، هذه التوقعات قوبلت برفض جمال عبد الناصر ، بل وإلى العمل بالضد منها في كل المنطقة ، كذلك لم يعجب تصرف عبد الناصر الشخصي حيال الغرب ، وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد رفض ببرودة مبدأ (أيزنهاور) الذي يجيز نشر قوات أمريكية في أي من بلدان الشرق الأوسط للدفاع عن وحدة أراضي دول المنطقة واستقلالها السياسي في مواجهة أي عدوان مسلح من أي دولة تسيطر عليها الشيوعية الدولية [٣] ، ورفض (حلف بغداد) ، حلف بغداد : منظمة عسكرية إنشئت في عام ١٩٥٥ برعاية بريطانية وبمباركة أميريكية وتضم أيران والعراق وتركيا وباكستان ، بغية احتواء الأتحاد السوفيتي من خلال بناء خط من الدول الحليفة عند حدوده الجنوبية ، وأدان عبد الناصر محاولات الغرب المستمرة الأخضاع أراضي مصر ويشدد الناصريون على إن معارضة عبد

---

(١) يفقيني بريماكوف ، الشرق الأوسط ، المعلوم والخفي ، بالعربية دار الاسكندرون ، ٢٠٠٦م، ص ٣٠ وما بعدها . للمزيد : طارق عثمان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩١ .

(٢) ستيفن امبروز ، الارتقاء الى العالمية ، السياسية الخارجية الأمريكية منذ عام ١٩٨٣ م ، ترجمة : نادية محمد الحسيني ، مراجعة : د. ودودة بدران ، القاهرة : المكتبة الاكاديمية ، ١٩٩٤ م ، ص ٢١٠ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٨ ، ٩٣

الناصر لحلف بغداد إنبثقت من وجهة نظر أستراتيجية رأت في الحلف وسيلة غربية ، لغرض السيطرة على المنطقة وسحبها من قربها المحتمل من الاتحاد السوفيتي السابق وسحق المشروع القومي المصري ، غير إن الصراعات الشخصية أدت في الحقيقة دوراً ما ، ففي صميم حكاية حلف بغداد ويقع النفور الشخصي بين عبد الناصر ورجل العراق القومي نوري السعيد باشا، فنوري السعيد أرستقراطي رأسمالي محب للإنكليز وهو النقيض كل ما يمثله عبد الناصر [١].

ونتيجة للرفض الأمريكي والغربي لتمويل السد العالي، جاء تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦م ، وهو التطور الذي بلغ قمته في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م ، وقد دعم تراجع الغزاة ، والتأييد الشامل الذي تلقته مصر من العالم العربي وكل دول العالم الثالث آنذاك تقريباً دعم سلطة عبد الناصر داخلياً وخارجياً ، وعمقت سياسته القومية ، وزادت من تأييده لحركات التحرر القومي ووقوفه في وجه المصالح الغربية وخصوصاً الأمريكية، في الشرق الأوسط جزءاً كبيراً من سحره المحلي والأقليمي . فقد تبنت قومية عبد الناصر العربية خطاباً فيه الكثير من المواجهة مع أسرائيل) ، ويزيد على ذلك ، إنه عرف عن نفسه بإنه في مواجهة مشروع (أسرائيل) ، الذي تهدف من خلاله إلى إن تصبح جزءاً لا يتجزء من الشرق الأوسط ، وتضمن موقف جمال عبد الناصر بأن كل أرض العرب) (كما يحددها العرب) للعرب ، وبأن (أسرائيل) (حليفة الولايات المتحدة الأمريكية والغرب) تشكل حرب موجهة إلى قلب العالم العربي وبأن هنالك حرباً حضارية وحرب وجود بين العرب (وأسرائيل) ، وبأن النضال المسلح ضد أسرائيل) مشروع وضروري ولو ليس بالضرورة في أي أطار زمني قصيراً أو متوسط المدى) ، وبأن الصراع مع أسرائيل) ليس صراعاً فلسطينياً – أسرائلياً بل هو صراع عربي – (أسرائيلي) [٢].

أدرك جمال عبد الناصر ، كما ذهب إليه محمد حسنين هيكل في التشديد عليه ، ((إن أمن مصر القومي يمتد إلى ما هو أبعد من حدودها)) [٣]، بعيداً جداً شرقاً في المشرق حتى العراق وتركيا ، وإن وظيفة (أسرائيل) الحقيقية في الشرق الأوسط هي تقسيم العالم العربي وإنها تشكل قاعدة عسكرية غربية في وسطه ، وهذا التفكير

---

[١] طارق عثمان مصدر سبق ذكره ص ٧٨ وص ٩١.

[٢] ودودة بدران ، سياسة تعبئة الموارد السياسية الخارجية لمصر في عهد جمال عبد الناصر ، في على الدين هلال (محرر) . ، دراسات في السياسة الخارجية المصرية من أبن طولون إلى أنور السادات القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٧ م) ، ص ٢٥١ - ٢٥٥ ، وكذلك حلمي عبد الكريم الزغبى ، المخططات الصهيونية للسيطرة الاقتصادية على الوطن العربي ، ط ا الكويت : مؤسسة الكميل للتوزيع والأعلان والنشر ، (١٩٨٩م) ، ص ٨١ - ٨٢ .

[٣] طارق عثمان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٣ .

وضع أسرائيل) ، بما لا يقبل التأويل ، ليس كمحتلة لفلسطين وحسب ، بل أيضاً بوصفها العدو الاستراتيجي للأمة) وعد عبد الناصر إن مجرد وجود (أسرائيل) يشكل تهديداً للمصالح الاستراتيجية العربية ، وخصوصاً لهدف أدماج الدول المختلفة في أمة عربية كبرى [١].

أكد عبد الناصر على دور مصر كفاعل رئيس في نطاق ثلاثة أبعاد هي : البعد العربي ، والبعد الأفريقي، والبعد الأسلامي ، وبفعل هذه السياسات أصبحت القاهرة مركزاً للمؤتمرات الأسوية والأفريقية ذات البرنامج واللغة المعادية للولايات المتحدة الأمريكية والغرب [٢] ، ومن جهة أخرى أصبحت دعوة عبد الناصر للقومية العربية خصومة اتجاه النظم المحافظة في العالم العربي ، والتي أدت إلى تأييد مصر للنظام الثوري في اليمن وانغماسها العسكري في هذا البلد من عام ١٩٦٣م إلى ١٩٦٧م، مثال على ذلك صراع مصر مع السعودية في حرب اليمن لأن السعودية كانت تحاول ادارة دفة السياسة العربية ووجدت إن دور عبد الناصر مكلفاً لها.

وبين عدد من الكتاب و المحللين سياسات الرئيس عبد الناصر العربية الأفرو أسوية إلى فهمه ، شأنه شأن محمد علي) ((هو والي مصر ومؤسس مصر الحديثة (١٩٤٨ – ١٨٠٥))) للعوامل التأريخية والجغرافية لمصر والتي تحسم في النهاية مصائرها ، وعلى وفق رؤية محمد حسنين هيكل فقد أدرك جمال عبد الناصر أن أمن مصر يعتمد على شيئين (النيل) والذي يضمن إن حاكم مصر يكون له سياسة أفريقية ، وجسر أرضي إلى أسيا والذي يعني أن يكون له سياسة شرقية ، وقد أدرك عبد الناصر من قراءته التاريخ أن حكام مصر العظماء من تحتمس الثالث حتى صلاح الدين ومحمد علي قد نظروا إلى حدود مصر الحقيقية باعتبارها أبعد بكثير إلى الشرق حتى سوريا [٣]، ومن الممكن أن تجادل أن مفهوم عبد الناصر لمكانة مصر في المنطقة وضروراتها الجيواستراتيجية كانت صحيحة من الناحية النظرية ، ومع ذلك فإن جمال عبد الناصر قد فشل في أن يدرك الحدود بين رؤيته والقدرات الحقيقية لمصر ، وفي سياق اوسع لا نستطيع أن نعزل هجوم (أسرائيل) ، على مصر في عام ١٩٦٧م ، عن المواجهة التي تطورت بين جمال عبد الناصر والولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربين ، وإذ كان ينظر لعبد الناصر باعتباره تهديداً للمصالح الغربية في المنطقة وما بعدها ، وهكذا

---

[١] المصدر نفسه، ص ٩٣-٩٢ .
[٢] جمال عبد الناصر ، فلسفة الثورة والميثاق ، ط ١ ، (بيروت: دار القلم ، ١٩٧٠ م) ، ص ٤٤ .
[٣] د. السيد امين شلبي ، نظرة على السياسة الخارجية المصرية في . خمسين عاماً ١٩٥٢ م - ٢٠٠٢ ،(مجلة) السياسة الدولية العدد ١٤٩ (القاهرة : مركز الأهرام ،٢٠٠٢ م ص ٣٠ - ٣٤ .

كانت أسباب هزيمة مصر العسكرية عام ١٩٦٧م ، تكمن في العجز الهيكلي للنظام ، وفي سوء تقدير سياسات عبد الناصر داخلياً وأقليمياً [١].

حيث جمعت سياسة عبد الناصر بين أتجاهاته وبين استعداداته للتلاؤم مع الوضع الجديد ، ففي الوقت الذي تبنى فيه مفهوم ما أخذ بالقوة لا يمكن استرداده إلا بالقوة وشرع في عملية أعادة بناء الجيش ومواجهة الأسرائيلين من خلال حرب الاستنزاف ، إلا أنه في الوقت ذاته أرتبط بالجهود الدبلوماسية ، وأصلح علاقته مع النظم المحافظة في المنطقة وأجرى أشارات عن رغبته في أعادة العلاقات مع الولايات المتحدة ، وقبل خطة (روجرز) (عرضت الادارة الامريكية مشروعها لتنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ في رسائل بعث فيها وزير الخارجية الأمريكية وليم روجرز الى وزراء خارجية كل من مصر والاردن و (إسرائيل) . وقد أعلن الوزير الأمريكي الذي أقترن المشروع باسمه وعرف بمادرة روجرز يوم ٢٥/٦/١٩٧٠، إن حكومته أطلقت مبادرة سياسية جديدة في الشرق الأوسط هدفها تشجيع الدول العربية و (الاسرائيلية) على وقف إطلاق النار تحت إشراف الأمم المتحدة لتنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ تضمنت: أ- دعوة الفرقاء مصر والأردن و (اسرائيل)) الى العمل تحت إشراف الامم المتحدة لتنفيذ القرار ٢٤٢. ب-العودة الى وقف اطلاق النار.ج- اعلان الفرقاء استعدادهم لتنفيذ القرار ٢٤٢ بكل تفاصيله ، وافقت مصر على المبادرة ٢٣/٧/١٩٧٠ والأردن يوم ٢٦ من الشهر نفسه و (اسرائيل) يوم ٦/٨/١٩٧٠ .) لوقف اطلاق النار [٢].

فضلاً عن ذلك وصف جمال عبد الناصر العلاقات في منتصف الخمسينيات من خلال صفقة الأسلحة المصرية التشيكية بإنها عملية تجارية بلا محددات ولا شروط قد تطورت في نهاية الستينات إلى ما يشبه الاعتماد والارتباط الكامل بالأتحاد السوفيتي السابق والقطيعة الكاملة مع الولايات المتحدة الأمريكية [٣]

---

[١] محمد حسنين هيكل، عند مفترق الطرق ، ط ١ ، (بيروت) : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، ١٩٨٨م) ص ٢٦ - ٢٨

[٢] محمد حسنين هيكل ، عند مفترق الطرق ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧ - ٢٩ .

[٣] حديث الرئيس جمال عبد الناصر الى جريدة نيورك تايمز عن صفقة الأسلحة التشيكية في ٦/١٠/١٩٥٥ ، متاح على شبكة الانترنت ، عبر الموقع الاتيnasser.bibalex.org/Data/.../551006.htm

الخاتمة

ما ورد في في هذا البحث بالقول إن الفكر الناصري عبارة عن يسمح تيار قومي عروبي ولد في خضم نضال عادل ومتواصل من أجل تحقيق طموحات مشروعة، ومن معاناة صادقة لرجل شريف وجريء آمن بقدرات أمته الخلاقة التي أهلتها لكي تتبوأ المقام الأول بين الأمم على مدى ردح طويل من الزمن ، لتغدو في حاضرها أمة متشرذمة متخلفة عن الركب على رغم ما تمتلك من طاقات هائلة تكمن في تراث أصيل ودين حنيف وتاريخ حافل وإمكانات بشرية ومادية قل نظيرها على وجه الأرض كلها.

وللفكر الناصري أصوله وجذوره في أعماق مرحلة الشباب من حياة ذلك الرجل، ارتباطاً بدراسته الثانوية، وفي الكلية العسكرية. وكان لأحداث الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن تأثيرها الكبير في تكون وعيه القومي بالذات، كما أن عوامل التنقل والانسلاخ الاجتماعي العائلي كوّنت أرضية خصبة لبروز هذا الوعي على أساس قراءات مبكرة مهدت أمامه طريق التحول في الفكر السياسي والاجتماعي لاحقاً. ففي ذلك الحين حركت آراء الأفغاني والكواكبي ومحمد عبده من الشرق فكره، كما نبهته طروحات الغربيين، خصوصاً روسو وفولتير، وأعجب بالأخير لاعتداله، وعدم دعوته إلى العنف والقسوة وسفك الدماء حسب تفسيره هو لدوافع تأثره به وتأثر وعيه المبكر أيضاً بإبداع شعراء الوطنية (شوقي وحافظ ابراهيم) ، وبكتابات الرواد العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم) ، فاختمرت في فكره ملامح صورة البطل المعبود أو المنقذ ، أو ما يسمى بالكل في واحد. ومن هنا أيضاً كانت الأعمال المجيدة من أجل الوطن على غرار نابليون وبسمارك وغاريبالدي بدايات حب وتشرشل وأتاتورك– النماذج الأفضل لديه وقتذاك، فتركت خدماتهم بصمات واضحة في عقله الباطن، ووعيه المبكر.

المصادر

١. ابراهيم عامر ، ثورة مصر القومية (القاهرة: دار النديم، ١٩٥٦)

٢. أجاريشيف جمال عبد الناصر، ترجمة سامي عمارة موسكو: دار التقدم، ١٩٨٣

٣. أحمد حمروش، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، ٥ ج (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٤ – ١٩٧٨)

٤. أحمد, حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو, عبد الناصر والعرب ج ٣, دار الموقف العربي القاهرة, (د ت)

٥. أسعد عبد الرحمن الناصرية: ثورة بيروقراطية أم بيروقراطية ثورية الكويت: مطبوعات جامعة الكويت (١٩٧٧)

٦. ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ١٧٩٨ – ١٩٣٩، ترجمة كريم عزقول، ط ٣ (بيروت: دار النهار، (١٩٧٧).

٧. أنور الجندي، هذا هو جمال (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٦٠)

٨. جان لاكوتير، عبد الناصر (بيروت: دار النهار (١٩٧١)،

٩. جمال سليم، التنظيمات السرية لثورة ٢٣ يوليو في عهد جمال عبد الناصر (القاهرة: مكتبة مدبولي، (١٩٨٢)

١٠. جمال سليم، الناصرية الجديدة وتحديات العصر (القاهرة: المطبعة الفنية، (١٩٧٧)

١١. جمال عبد الناصر، فلسفة الثورة (القاهرة: وزارة الثقافة والإعلام، [د. ت.].

١٢. جمال عبد الناصر، يوميات عبد الناصر عن حرب فلسطين تقديم محمد حسنين هيكل باريس: مؤسسة الوطن العربي للطباعة والنشر، (١٩٧٨)

١٣. حسن الفكهاني، موسوعة جمال عبد الناصر: مصر الثورة من الزعيم الخالد إلى خليفته الثائر (القاهرة: الدار العربية للموسوعات (١٩٧٢)، ج ١

١٤. ذو الفقار قبيسي ونجيب صالح ناصر الشهيد الحي (بيروت: دار الصياد ص ٣ وروبرت سان جون، الرئيس تقديم سعد زغلول نصار (القاهرة: الهيئة المصرية العام والنشر، (١٩٧٠)،

١٥. ستيفن امبروز ، الارتقاء الى العالمية ، السياسية الخارجية الأمريكية منذ عام ١٩٨٣ ، ترجمة : نادية محمد الحسيني ، مراجعة : د. ودودة بدران ، القاهرة : المكتبة الاكاديمية ، ١٩٩٤

١٦. سليمان محمد الطماوي، ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بين ثورات العالم (القاهرة:) دار الفكر العربي، ١٩٦٤

١٧. السيد امين شلبي ، نظرة على السياسة الخارجية المصرية في . خمسين عاماً ١٩٥٢ م – ٢٠٠٢ ،(مجلة) السياسة الدولية العدد ١٤٩ (القاهرة : مركز الأهرام

١٨. الشرقاوي، فكر جمال عبد الناصر والميثاق الوطني في مؤسسة الأبحاث العلمية العربية العليا، الموسوعة الناصرية: نضال عبد الناصر (بيروت: دار الحكيم، (١٩٧٣)، القسم ١

١٩. شهدي تأملات ... في الناصرية، ص ١١١ – ١١٣؛ أنيس صايغ، في مفهوم الزعامة السياسية من فيصل الأول إلى جمال عبد الناصر (بيروت: جريدة المحرر، ١٩٦٥)

٢٠. طارق عثمان ، مصر على شفير الهاوية ، ط١ ، بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، ٢٠١٢م .

٢١. عادل حمودة : عبد الناصر أسرار المرض والاغتيال, ط١ الدار العربية للطباعة, القاهرة

٢٢. عبد الله إمام الناصرية : دراسة بالوثائق في الفكر الناصري تقديم ضياء الدين داوود القاهرة: دار الشعب (١٩٧١)

٢٣. عبد الله إمام الناصرية وتحديات العصر القاهرة: مؤسسة روز اليوسف، (١٩٨٨)

٢٤. عبد الله إمام، حكايات عن عبد الناصر (بيروت: الوطن العربي، [د. ت .]

٢٥. عبد المنعم شميس، الثورة العربية الكبرى ٢٣ يوليو (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، (١٩٦٣)

٢٦. عصام الدسوقي ، كبار ملاك الأراضي الزراعية في مصر ودورهم في المجتمع المصري ١٩١٤ – ١٩٥٢ م ، (القاهرة : دار الشروق ، ٢٠٠٧م)

٢٧. علي الدين هلال، تطور الأيديولوجية الرسمية في مصر : الديمقراطية والاشتراكية، في : اسماعيل صبري عبد الله وآخرون، مصر من الثورة ... إلى الردة (بيروت: دار الطليعة، (١٩٨١)

٢٨. عمر أبو النصر جمال عبد الناصر : ساعات مثيرة مؤثرة من حياته (بيروت: مكتب عمر أبو النصر للتأليف والترجمة والصحافة، (١٩٦٧)

٢٩. فؤاد مطر، بصراحة عن عبد الناصر : حوار على مدى ٢٠ ساعة مع محمد حسنين هيكل بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩

٣٠. فواز جرجيس ، النظام الأقليمي العربي والقوى الكبرى دراسة في العلاقات العربية – العربية والعربية الدولية ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٧.

٣١. فوشيه جمال عبد الناصر في طريق الثورة، ج ١،(دون سنة طبع)

٣٢. محمد السيد سليم التحليل السياسي الناصري : دراسة في العقائد والسياسة الخارجية، سلسلة أطروحات الدكتوراه ٣ بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، (١٩٨٣)

٣٣. محمد حسنين هيكل، عند مفترق الطرق ، ط ١ ، (بيروت) : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، ١٩٨٨م

٣٤. محمد عبد الحكيم دياب الثورة العربية المعاصرة: الأبعاد الفكرية والتنظيمية (بيروت: دار المسيرة (١٩٧٨)

٣٥. محمد فريد شهدي تأملات ... في الناصرية المفكر العربي (بيروت: دار الطليعة، (١٩٧٣)

٣٦. الموسوعة الفلسفية، إشراف م. روزنتال وب. يودين؛ ترجمة سمير كرم، ط ٣ (بيروت: دار الطليعة، (١٩٨١

٣٧. موسوعة الهلال الاشتراكية راجعها كامل زهيري (القاهرة: دار الهلال، (١٩٧٠)،

٣٨. نثيلة راشد جامع حكاية كفاح ضد الاستعمار للشباب (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (١٩٧١)

٣٩. هدى, عبد الناصر : السيرة الذاتية لجمال عبد الناصر, مكتبة الاسكندرية مصر

٤٠. هلال، تطور الايديولوجية الرسمية في مصر : الديمقراطية والاشتراكية

٤١. وأحمد كمال أحمد الناصرية والعالم الثالث (بيروت: دار الرقي، (١٩٨٦)

٤٢. ودودة بدران ، سياسة تعبئة الموارد السياسية الخارجية لمصر في عهد جمال عبد الناصر ، في على الدين هلال (محرر) . ، دراسات في السياسة الخارجية المصرية من أبن طولون إلى أنور السادات القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٧ م

٤٣. وعبد العزيز رفاعي القومية العربية وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كتب قومية؛ ٣٣٨ (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦)

٤٤. وعبد الله بلال تأملات في الناصرية : ثورة إنسانية خالدة (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، (١٩٧١)

٤٥. ولتون وين ناصر العرب البحث عن الكرامة، نقلته إلى العربية الأساتذة الجامعيين (بيروت: منشورات المكتب التجاري، ١٩٥٩)

٤٦. يفقيني بريماكوف ، الشرق الأوسط ، المعلوم والخفي ، بالعربية دار الاسكندرون ، ٢٠٠٦م

ثانياً: المصادر الاجنبية

Richard Hrair Dekmejian, Egypt under Nasir: A Study in Political Dynamics) (Albany, NY: State University of New York Press

ثالثاً: المواقع الالكترونية

١. حديث الرئيس جمال عبد الناصر الى جريدة نيورك تايمز عن صفقة الأسلحة التشيكية في ٦/١٠/١٩٥٥ ، متاح على شبكة الانترنت ، عبر الموقع الاتي nasser.bibalex.org/Data/.../551006.htm